

الرواق

مجلّةٌ فصليّةٌ ثقافيّةٌ عامّةٌ تُعنى بالتُراثِ البصريّ، تَصدُرُ عن العَتبةِ العبّاسيّة المُقدَّسةِ
قِسمِ شُؤونِ المعارفِ الإسلاميّةِ والإنسانيّةِ - مركزِ تُراثِ البصرةِ العدد (23) - السنة السابعة
شعبان 1443هـ - نيسان 2022م

سايلو البصرة



الآية المباركة (٤٩) من سورة الحجر بتقنية الحرق على الخشب/ نديم البصري

كلمة العدد

ما الذي نحتاجُه من الغَرب؟

هناك نزعةٌ وتوجّهٌ إجتماعيٌّ واضحٌ نحوَ تقليد الغرب والاقتداءِ بالغربيين، لهذا، علينا أن نسأل أنفسنا عمّا نحتاجه من الغرب.

- فهل نحتاج إلى قِيَمٍ وأخلاق؟
- أو إلى مصادرَ للموارد الماليّة؟
- أو إلى كفاءاتٍ علميّة، وأيدي عاملة؟
- أو أنّنا نحتاج إلى أمر آخر غيرِ ما ذُكِرَ؟

والجواب : نحن بلا شكّ لسنا بحاجة إلى استيراد قيم وأخلاق من الغرب؛ لِما نملكه من منظومةِ قيمٍ وأخلاقٍ مُهمّة؛ بشهادة جُملة من الباحثين الغربيّين، مُتمثلةً بالدِّين الإسلاميّ وتعاليمه الغراء، مع ما نملكه من موروث إجتماعيّ قِيَميّ أخلاقيّ مُهمٍّ أيضاً.

نعم، نختلف معهم في بعض تفاصيل الأحكام في شرعنا، لكنَّ ذلك لا يعني: أنّ التعاليم الشرعيّةَ بمجملها هي محلّ رفضٍ أو إنكارٍ من قِبل علمائِهم وباحثيهم.

أضف إلى ذلك أنّنا لسنا بحاجة إلى استيراد موارد طبيعيّة من الغرب؛ لتوفير ميزانيّة الدولة؛ فنحن نمتلك موارد طبيعيّة ضخمة تحتاج إليها كُلّ الدول الصناعيّة بما فيها الغرب.

وكذا نحنُ نمتلك كفاءاتٍ علميّةً جبّارةً، أثبتت جُملةٌ منها أهميّتها في مجال تخصُّصها عندما أُتيحت لها الفرصةُ في بُلدان أُخرى، كما نمتلك أيديَ عاملةً كبيرةً وكثيرةً متمثلةً بجيل مُهمّ من الشباب.

إذن، ما الذي ينقصنا ونحتاج لأن نستورده من الغرب؟

والجواب : إنّنا نحتاج إلى أمرين :

الأوّل: تفعيل الدور الرقابيّ للسلطة القضائيّة من حيثُ متابعة ما يُصرف من ميزانيّة الدولة، ومحاسبة المُقصّرين.

والثاني: تطبيق القانون على أرض الواقع؛ بحيثُ يعرف المواطنُ والموظّفُ أنّ أيّ تقصير أو إساءة تصدر منه، سيترتّب عليه عقاب لا مجال من الفرار منه.

هذان الأمران المُهمّان هما ما نحتاج تعلمهما من الغرب، واستيرادهما منه، وهما يمثلان نقطة فارقة في تخّلف مجتمعاتنا.

• هيأة التحرير

اِقْرَأ في هذا العدد...

٦ الهلاليُّ يتفقّد المشاريعَ التراثيّةَ في مَركَز تُراث البصرة

١٧ ماذا تعرفُ عن مَقبرة (العُلماء)؟

٢٩ استراتيجيّةُ المراقبةِ، وفاعليّةُ النِّظامِ الرّقابيِّ في فِكْرِ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام

٤٦ ثَلاثُ مَحَطّاتٍ مِرْبَديّة

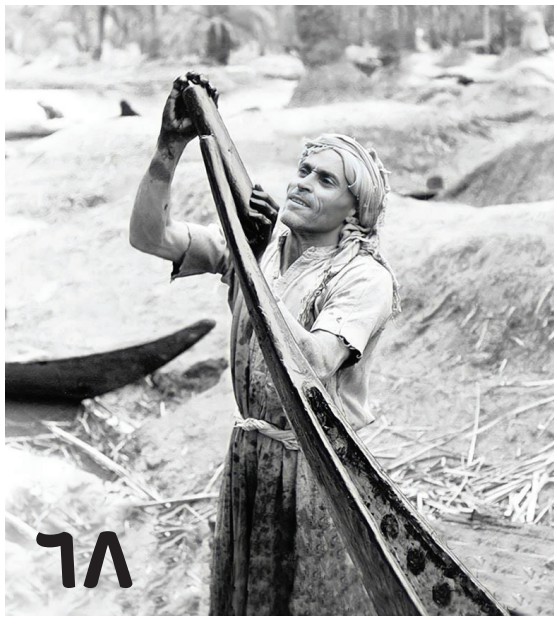
٦٤ الشّيخُ حسين بنُ مُفْلح بن الحسنِ، الصّيمريُّ، البصريُّ... سيرته وآثارهُ العلميّة

٦٨ الحاجُّ حميد الحجّاج: صانعُ طرّادة الرحّالة ثيسجر

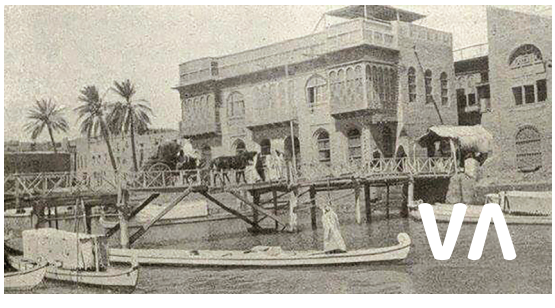
٧٨ محلّةُ البجّاريّ

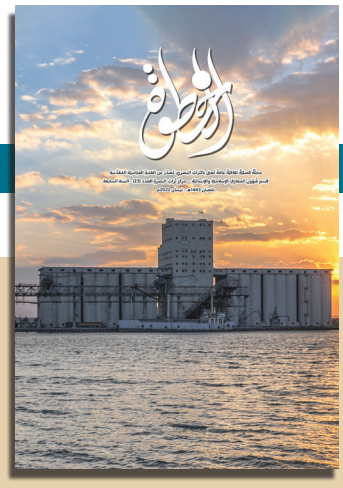
٨٠ شَعْوانةُ البَصريّة

٨٤ أبو مِجْلَز البصريُّ









مجلّةٌ فصليّةٌ ثقافيّةٌ عامّةٌ تُعنى بالتُراثِ البصريّ، تَصدُرُ عن العَتبةِ العبّاسيّة المُقدَّسةِ - قِسمِ شُؤونِ المعارفِ الإسلاميّةِ والإنسانيّةِ - مركزِ تُراثِ البصرةِ. العدد (٢٣) - السنة السابعة. شعبان ١٤٤٣هـ - نيسان ٢٠٢٢م

رقم الاعتماد في نقابة الصحفيين العراقيين ١٩٧٢

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد (٢٠٨٧) لسنة ٢٠١٥م

المشاركون في هذا العدد

الشيخ علي الغزّي - الشيخ الدكتور محمود العيداني - أ.د حسين المصطفى - د. عبد الجبار الحلفي - أ.د. شكري ناصر عبد الحسن - د. علي مجيد البديري - الأستاذ كريم علاوي - الشيخ صادق المسلم - د. علاء مردان - شاكر العاشور - الأستاذ عادل علي عبيد - د. مشتاق عيدان اعبيد - الأستاذ محمد صالح عبد الرضا - الأستاذ مهدي الخزاعي - الأستاذ محسن ربيع - هاني نمر عجمي - حسين علي أيوب - زينب المسعودي.

الإشراف العـــام
الشّيخ عمّار الهلالي

رئيـس التحريـــر
ياسين يوسف اليوسف

مدير التحريـــر
الدكتور عامر السّعد

سكرتير التحريـــر
محمّد ثائر الزيدي

هيأة التحريـــــر
الشيخ مُدرِك الحسّون - د.أشرف عبد الحسن - عبد العزيز مسلم

الإشراف اللغـــوي
لجنة الإشراف اللغويّ في المركز

التصوير
أحمد عبد العبّاس - أمير جاسم العاشور

التصميم والإخراج الفني
محمّد شهاب العلي

عناوين المجلة
العراق- البصرة- البراضعيّة - شارع سيّد أمين
٠٧٨٠٠٨١٦٥٧٩
basrah@alkafeel.net
ص.ب/٣٢٣

الموقع الإلكتروني
mk.iq

تنويه:

ماننشره هنا كلُّ ما يُلفت، وليس بالضرورة أن نكونَ موافقين عليه. كن شجاعاً، وأبْدِ رأيَك.

الهلاليُّ يتفقّد المشاريعَ التراثيّةَ في مَركَز تُراث البصرة



في إطار زياراته الدوريّة التفقّديّة، زارَ رئيسُ قسمِ شؤونِ المعارفِ الإسلاميّة والإنسانيّة، فضيلةُ الشيّخ عمّار الهلاليّ (دام توفيقه)، يوم الخميس، ١٧ شباط - ٢٠٢٢م، المصادف ١٥ رجب ١٤٤٣هـ، مركزَ تُراثِ البصرة، التابعَ للقسمِ المذكورِ؛ من أجلِ الاطّلاع على آخرِ الأعمال والمشاريع التراثيّة، والوقوف على أحدث المستجدّات، ومناقشة آليّات العمل المستقبليّ، وسُبُل الارتقاء به.

وقد أجرى فضيلتُه جولةً على وحداتِ المركزِ، والتقى بالمسؤولين والمنتسبين، وناقش معهم مختلفَ القضايا المتعلّقة بأعمالهم، واستمعَ إلى افكارهم ورؤاهم، وحثَّهم على مضاعفةِ الجهودِ، وزيادةِ الهمّةِ؛ من أجلِ رفع مستوى الإنتاجِ العلميّ، وتحقيق المزيد من الإنجازات التي تصبُّ في خدمة التراث البصريّ.

وتأتي هذه الزيارةُ ضمنَ سلسلةِ الزياراتِ الّتي يُجريها فضيلته بين فترةٍ وأخرى؛ من أجلِ متابعةِ آخرِ الأعمالِ في المراكزِ التُراثيّةِ التابعةِ لقسمِ المعارفِ، والوقوفِ على ما وصلتْ إليه من منجزاتٍ، وتحديدِ خارطة العملِ المستقبليّةِ فيها.

المركزُ يزورُ الأديبَ البصريَّ محمّد صالح عبد الرضا في منزله



زارَ وفدٌ من مركز تراث البصرة، التابعِ لقسمِ شؤونِ المعارفِ الإسلاميّة والإنسانيّة في العتبة العبّاسيّة المقدّسة، الأديبَ البصريَّ الأستاذَ محمّد صالح عبد الرضا، وجرى خلال الزيارة الحديثُ عن الأهداف التي يسعى المركزُ إلى تحقيقها، وعن نشاطاته المتعدّدة، وخططه المستقبليّة، وتمّ الحديثُ أيضا عن إصدارات المركز من الموسوعات والسلاسل والكتب والمجلّات المتخصّصة والعامّة، التي تصبُّ في خدمة التراث البصريّ المغيَّب.

بدوره أثنى الأديبُ البصريُّ على جهود المركز، ولاسيّما إصداراته التي تغذّي المكتبةَ البصريّةَ بعناوين بصريّةٍ تجذب نظرَ القرّاء، وتستهوي الباحثين والمثقّفين، مُبدياً استعدادَه للعمل مع المركز في مجال توثيق كلِّ ما يتعلّق بتراث مدينته العريقة.

في الختام، أهدي للأستاذ عبد الرضا عددٌ من إصدارات المركز المتنوّعة، وكتابُ شكر؛ تثميناً لجهوده في رفد مكتبة المركز بمجموعةٍ قيّمةٍ ونادرة من المجلّات الدوريّة.

يُذكر أنّ هذه الزيارة تأتي ضمن البرنامج المستمرّ لمركز تراث البصرة؛ للتواصل مع الشخصيّات العلميّة والأكاديميّة والأدبيّة والاجتماعيّة في محافظة البصرة.



مجلَّةُ (تراثُ البصرةِ) المحكَّمةُ تستأنفُ اجتماعاتها الدّوريّة

بحمدِ اللهِ تعالى، عَقدتْ هيأةُ تحرير مجلّة (تراث البصرة) المحكّمة جلستَها الدّوريّةَ الـ(١٣٢)، وذلكَ في مقرّ المركز، وقدْ تمَّتْ مناقشة جملة من الأُمور التي تخصُّ المجلَّة، منها: متابعة الضوابط الواردة من وزارة التعليم العالي والبحث العلميّ، التي تَعتمد آليّةً جديدةً في اعتماد المجلّات المحكّمة والعمل وَفقها، وناقش الحضورُ كذلك بعض الأُمور الفنّيّة التي تخصّ هيأة التحرير، وتأكيد ضرورة رفد المجلّة المحكّمة والثقافيّة بالبحوث والمقالات، مع إحالة بعض البحوث على التقويم العلميّ، وفي ضوء ذلك اقترح الأساتذةُ عُنوانات نَدواتٍ تراثيّة سيعقدها المركز في الفترة القادمة إن شاء الله تعالى.

وتخلّلَ الجلسةَ جملةٌ مِن الآراء قدَّمها الأعضاءُ لإثراء المجلّة.



مركزُ تُراث الحِلّة في ضيافة البصرة

استقبلَ مركز تراث البصرة اليومَ وفداً من مركز تراث الحلّةِ يترأّسُه مديرُ المركز، سماحةُ الشيخ صادق الخويلديّ (دام توفيقه)، وقد اطّلعَ الوفدُ الزائرُ على مجمل أنشطة المركز ونتاجاته المتنوّعة، وتجوّل في أروقة المركز بعد اجتماع ضمَّه مع سماحةِ الشيخِ شاكر المحمديّ (دام توفيقه) وباقي مسؤولي الوحدات في المركز.



وخلالَ الاجتماع تبادل الجانبانِ وجهاتِ النظر حول سير الأعمال ونتاجات المركزين خلال الفترة الماضية، وكذا أطرَ التعاون المشترك وتبادل الخبرات بين المركزين.



وعبَّر الوفدُ الزائرُ عن بالغ سروره بزيارة مدينة البصرة ومركزها ؛ لتعزيز العلاقات، وتطوير العمل التراثيّ، وإيجاد رؤى جديدة تسهم في عمليّة الانفتاح الفكريّ والثقافيّ لما يخدم تراثَ المدينتين العريقتين (البصرة والحلة).









مركزُ تُراث البصرة

يزورُ المؤسَّسات الثقافيّة والمكتبات العامّة في النجف الأشرف

للاطّلاع على آخر الأنشطة التحقيقيّة، والتواصلِ بين المركز وباقي المؤسّسات العلميّة، استأنف مركزُ تراث البصرة، التابعُ لقسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة في العتبة العبّاسيّة المقدّسة زياراتِه الميدانيّة.

وشملت سلسلةُ الزيارات مكتبةَ أمير المؤمنين عليه السلام، واللقاءَ بسماحة الشيخ حيدر السهلانيّ، وكذا شملت الزيارت مكتبةَ الإمام الخوئيّ قدس سره، ولقاء السيّد حسين الخرسان، ومكتبةَ الروضة الحيدريّة، واللقاء بالشيخ عبد السادة الجابريّ.

وكذا انتقل الوفد لزيارة مركز تراث النجف، واللقاء بالمحقّق الشيخ أحمد الحلّيّ، واطّلع على أهمّ النتاجات التراثيّة والتحقيقات التي من شأنها إعادةُ إحياء التراث الاسلاميّ، والتعريفُ بالإصدارات والتحقيقات الصادرة من المركز.

وكذا زار المركزُ في اليوم الثاني من جولته مؤسّسة الشيخ كاشف الغطاء، والتقى السادةَ المسؤولينَ في المؤسّسة، لكون له لقاءٌ بعد ذلك مع سماحة السيّد محمّد علي بحر العلوم، المشرف على معهد العَلَمَين ومكتبة السيّد صادق بحر العلوم قدس سره، ليحطّ المركز في ختام زياراته في النجف الأشرف، حيث مكتبة الإمام الحكيم قدس سره.



مشاركةٌ فاعلةٌ لمركز تراث البصرة

في معرض الكتاب السنويّ في جامعة البصرة



شاركَ مركزُ تراث البصرة، التابعُ لقسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة في العتبة العبّاسيّة المقدّسة، في معرض الكتاب السنويّ، الذي أقامته المكتبةُ المركزيّةُ في جامعة البصرة، بالتعاون مع دار الفيحاء للطباعة والنشر، للفترة من (٩ / ١ – ٢٠ / ١ / ٢٠٢٢) على قاعة المكتبة المركزيّة.

وتمثّلت المشاركةُ بعرض مجموعةٍ من إصدارات المركز قاربت (٦٠) عنواناً من الكتب والموسوعات والسلاسل والمجلّات.

من الجدير ذكره، أنَّ لمركز تراث البصرة العديدَ من المشاركات في المعارض المحلّيّة، وقد لاقت مشاركتُه استحسانَ المختصّين وإقبالَهم.



في ندوة فكريّةٍ

مركزُ تُراث البصرة يسلِّط الضوءَ على التراث الفقهيِّ البصريِّ في القرن الحادي عَشَر الهجريّ

بهدف تسليط الضوء على عَلَم من أعلام البصرة، وفقيه من فقهائها البارزين في القرن الحادي عشر الهجريّ، أقام (مركز تراث البصرة) التابع لقسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة في العتبة العبَّاسيّة المقدَّسة يوم السَّبت: (٢٦/ ٣/ ٢٠٢٢م)، ندوةً فكريّةً حواريّةً، تحدَّث فيها سماحة الشيخ الدكتور محمود العيداني (دام موفقا) عن كتابه المحقَّق (الوَجيزةُ الحَقيّة)، لمؤلِّفه مهذِّب الدين، أحمد بن عبد الرضا البصريّ، الذي يعدُّ من تلامذة الشيخ الحرّ العامليّ صاحب الوسائل، وصاحب المؤلّفات الجمّة المتنوّعة والمختلفة في تخصّصاتها، كالفقه، والأصول، والرياضيّات، واللغة، والتفسير، والحديث، وغيرها من العلوم العقليّة والنقليّة التي ناهزت ال(٥٠٥) مؤلفات، بين كتاب ورسالة.

وقد تطرّق سماحة الشيخ الدكتور خلال الندوة الى الكثير من الجنبات الاجتماعيّة والعلميّة للمؤلّف، فتكلّم عن سيرة حياته، ورحلاته التي بلغت أفغانستان والهند وخراسان، متناولا بعض ما لاقاه مهذِّبُ الدين من صعوبة العيش، وعن مكانته العلميّة وغزارة مؤلفاته على الرغم من ذلك، والمضمون الذي احتواه هذا الكتاب (الوجيزة الحقّيّة) الوجيز في صفحاته، والكبير في محتواه.





من الجدير بالذكر أنّ هذا التحقيق جاء مع محورية تعليم عملية الاستنباط؛ فهو يتكلّم عن حرمة التغني بالقرآن، وهي المسألة المهمّة البارزة في القرن الحادي عشر الهجريّ، ولهذا، عقد المحقق فصلا خاصا بعملية الاستنباط والمراحل التي يطويها الفقيه خلال ممارسته لهذه العملية، ليطبق ما جاء على لسان المؤلف على هذه المراحل، لتكون الرحلة التحقيقيّة رحلة تعليميّة بامتياز، وهو الأمر الذي يميّز هذا الكتاب عن غيره من التحقيقات.

وقد اختُتِمت النَّدوة بجملةٍ من المداخلات المهمّة شملت العديد من الجوانب التي طرحت خلالها، وقام المحاضر بدوره بالإجابة عنها، وتوضيح ما يلزم توضيحه في هذا المجال.

هذا، وقد أقيمَ على هامش النَّدوة معرضٌ للمؤلّفات المخطوطة الخاصّة بهذا العالم البصريّ الجليل.



جامعُ الفيلي

حلقة وصل بين الماضي والحاضر

هاني نمر عجمي

إنَّ ما يميِّزُ البلدانَ هو إرثُها الثقافيُّ والحضاريُّ وتراثُها الفكريُّ والعمرانيُّ، وممّا لا شكَّ فيه أنَّ المساجدَ في كثير من الأحيان جَمَعَت بين الأمرين، فهيَ تراثٌ عمرانيٌّ يؤسِّس لتراثٍ فكريّ.

شُيِّدت المساجدُ؛ لتكونَ أماكنَ عباديّةً على الأرض، لكنَّ غاياتِها أسمى من ذلك؛ فهي عاليةٌ بمقاماتها بعلوّ السماء.

وقد عُرفت البصرةُ بين المدن والأمصارِ بتراثِها الذي جَعلَها متميّزةً في مضمار الكثير من العلوم والمعارف، وكانت - وما زالت - مساجدُها ملتقى العُلماء وطلّاب العلم وجموع المؤمنين، وما زالت مآذنُها التي تصبو إلى السماء لاستنزال الرحمة والخير ونشر الثقافة والأدب والقيم الروحيّة العالية مهوى القلوبِ والعقول.

الموقعُ وعامُ التأسيس والمراحلُ العمرانيّة

يقعُ المسجد - تحديداً - في مركز مدينة البَصرة، منطقة الخَليليّة في البصرة القديمة، المنطقةِ التاريخيّةِ المعروفةِ بكثرةِ مساجدها وبيوتها التراثيّة، ففي هذه المنطقة أُسِّس الكثيرُ من المساجد المتقاربة، كجامعِ الفقير، وجامعِ آل شبَّر، وآل خَليفة، وآل الميرزا جَمال الدِّين.

أسَّس جامعَ الفيليِّ الحاجُّ علي الحاجّ عبد الله حسين الفَيليّ بحدود عام ١٣٢٩ للهجرة النبويّة الشريفة، فيكون عمرُه ما يقرب قرناً وبضعَ سنوات من الزمن، وتبلغ مساحةُ الجامع (٢٥٠) متراً مربّعاً، وتبلغ مساحةُ الحَرَم (١٠٠) مترٍ مربعٍ.

وأمّا بالنسبة للمراحل العمرانيّة التي مرَّ ها المسجدُ، فقد أعيد بناؤه في عام ١٩٦٣م من قبل أبناء المحلَّة؛ فقد

بُني من الطّابوق الأصفر، واستُعملت فيه النّقوشُ الإسلاميّةُ في بعض أقسامه، له مأذنةٌ متوسّطة الارتفاع بُنيت من على سطح الجامع، وهو بذلك يختلف عن بقيّة المساجد الأخرى في بناء المآذن فيها، وأُجريت عليه بعضُ التّرميمات من قبل أبناء المنطقة في السّنوات الماضية، وقد أُلحق به مُغتسلٌ في بدايات إنشائه، لكنّه اليوم غيرَ موجود؛ فقد أزيلَ ولم يُبنَ من جديد.

دواعي تأسيس الجامع:

ولمّا كان لابدّ من وجود داعٍ لتأسيس أيّ مسجد، فإنَّ الهدفَ الرئيسَ من تأسيس هذا المسجد المبارك هو إقامة الصلاة والذكر وعبادة الله تعالى، ولإحياء مناسبات أهل البيت عليهم السلام؛ اذ بإحياء ذكرِهم تحيا القلوب، وكذلك ليكون صدقةً جاريةً، وللحصول على الأجر والثواب، وليبقى مع بقيّة المساجد في المنطقة مناراً وهدى يُستضاء به.

أنشطةُ المسجد

لجامع الفيليِّ أنشطةٌ متعدّدةٌ قديماً وحديثاً، فضلاً عن إقامة الصلاة جماعةً؛ إذ يقوم العاملون بإحياء مجالس الذكر والعزاء على سيد الشهداء الحسين عليه السلام في شهرَي محرَّم الحرام ورمضان المبارك، وكذا تُحيى جميعُ المناسبات من ولاداتِ الأئمة عليهم السلام ووفياتِهم.

علاوة على ما تقدم، هناك الدوراتُ القرآنيّةُ التي تُدار في المسجد، والندوات الفكريّة التي تتناول أبرزَ الشّخصيّات العلميّة، والمفكرين في البصرة، وكذا تقام الفواتحُ لأموات أهالي المنطقة، وفيه تُحَلُّ الخصوماتُ والمشاكلُ بين المتخاصمين، ومن خلاله تُنشر ثقافةُ أهل البيت وأخلاقُهم وعلومهم عليهم السلام.

أضف الى ذلك، يضمُّ المسجد مكتبةً باسم الجامع تحتوي على مجموعةٍ من الكتب القيّمة.

وأمّا بالنسبة الى مصاريف الجامع واحتياجاتهِ، فهي تؤمَّن من قبل أحفاد الحاجّ عليّ الفيليّ المُقيمين في الكويت، كتأمين مؤذّنِ وخادمِ الجامع، ولا يقبل الجامعُ أيّةَ تبرُّعاتٍ نقديّةٍ، وهذا بتوجيهٍ من أحفاد الحاجّ عليّ، فالذي يُريد أن يُساهِم في الجامع، يساهم بالأمور العينيّة، وكان للجامع وقفٌ سابقا في منطقة الكبّاسيّ، وهو عبارة عن مجموعة من النخيل تُباع ثمرتُها وتُصرفُ في شؤون الجامع، كإعداد وجبات غذائيّة في المناسبات الدينيّة، وأمّا الآنَ، فقد جفّت هذهِ المناطقُ وماتَت أشجارُ النخيل.





أئمّةُ وخطباءُ وتوليةُ المسجد:

أبرزُ من أمَّ الجماعةَ في المسجد هم كل من: الشَّيخ حسن (أبو عمَّار) رحمه الله، والشيخ عبد الله الساكان، والشيخ ماجد البحرانيّ، وأمّا بالنسبة لخطباء المنبر الحسينيِّ، فهم كثيرون؛ ففي خمسينات القرن المنصرم كان الشَّيخ حسن دكسن (رحمه الله) والشيخ ابن جلو، والسيّد عبد الأمير الخطيب، وأمّا بالنسبة لتولية المسجدِ، فكان المتولّي هو الحاج شاكر الشوّاف.



روّادُ المسجد وزوّاره:

هناك الكثير من الوجوه المؤمنة المؤثّرة بحضورها المسجد من شخصيّات المحلَّة، منهم: الحاجّ حبيب المازنيّ، والحاجّ عبد الوهاب السليمان، والحاج عبّود الحَسن، والحاجّ حسين علي الشوّاف، والحاجّ علي الشوّاف، والحاجّ صالح المازنيّ، والحاجّ عبد الله، والحاجّ علي الدبيس (أبو حنّون)، والحاجّ صالح نجم، وغيرُهم، وكذا كان يزور الجامعَ الكثيرُ من الزائرين من خارج العراق وداخله.



المؤذّنون وخَدَمةُ المسجد:

تعاقب على رفع الأذان في المسجد الكثيرُ ممّن كان يُعرف بالأصوات الشجيّةِ، أمثال: الحاجّ علي الدّبيس، الذي كان مغسّلاً ومؤذّناً، والحاجّ جاسم (أبو أحمد)، وعلي حسين (أبو فاطمة)، والحاجُ فاضل تقي، والحاجّ صالح نجم، وأمّا أبرز من خدم في المسجد، فالحاج أبو نادية، والحاجّ حسن الرّمل وولدُه خليل الرّمل، وأبو أحمد (شهاب)، وعماد جاسم، والحاجّ عادل، والحاجّ أبو سالم.

وتبقى مساجدُنا في البصرة مناراتِ هدىً وأماكنَ تهوي لها القلوب.



ماذا تعرفُ عن مَقبرة (العُلماء) في قضاءِ المدَيْنَة / التِّيمار؟

بقلم الباحث: مهدي الخزاعي

نَشَطتْ الحركةُ العلميّةُ في منطقةِ الجزائر في القرن التّاسع الهجريِّ؛ إذ نبغَ فيها الكثيرُ من العُلماء الّذين يُشار لهم بالبَنان، وطَفَحتْ كتبُ التراجمِ بذكرهم؛ إذ أسَّسوا المدارِسَ الدِّينيّةَ في منطقةِ الصّبّاغيّة ونهرِ صالِح ونهرِ عَنْتر، ومنها مدرسةُ اللّطيفيّةِ، والمنصوريّةِ، وهذا ما أكّدهُ السّيدُ نعمةُ الله الجزائريُّ ﷺ، إذ ذكرَ في الجزء الرابع من كتابه (الأنوار النعمانيّة) وجودَ مدارس دينيّةٍ في نهرِ عَنتَر؛ إذ كانَ أخوه السّيدُ نجمُ الدِّين يدرس فيها، وكذلك أشارَ إلى وجود الجَوامع، التي هي مراكزُ للعلم، وتحدَّثَ السّيدُ نعمةُ الله الجزائريُّ عن وجودِ مَسجدٍ جامعٍ في نهر صالح يصلّي فيه خاتمةُ المجتهدين، الشّيخُ عبدُ النّبيّ الجزائريُّ على حدّ تعبيره صاحبُ كتاب (حاوي الأقوال في مَعرفة الرجال).

وكذلك أكَّدَ الشّيخُ فتحُ اللهِ الكعبيُّ المولودُ سنة (١٠٥٣هـ) وجودَ هذه المدارس، التي تتلمذَ فيها، وهي: (المنصوريّة، واللطيفيّة).

وذكر الخونساريُّ صاحبُ كتاب (رَوْضات الجنّات): «خرج منها أي: الجزائر جمعٌ كثيرٌ من علماء الشيعة...»[1]، ومن هنا، كان استقرارُ العلماء في هذه المناطق ومنها منطقةُ نهر عنتر، التي كانَ فيها عددٌ من العُلماء المعترفِ لهم بالمكانةِ العلميّة، ومن أبرزهم:

١- الشّيخُ المحققُ محمّد بن الحارث الجزائريُّ المنصوريُّ، الذي ترجَمَتْهُ العديدُ من المصادر، ومنهم الإمام الخوئيُّ ﷺ في موسوعته الرجالية (معجم الرجال، ج١٦، ص١٩٥) بقوله: «قال الشيخُ الحرُّ في تَذكرة المُتبحِّرين (٧٥٢): «الشيخُ محمّدُ بن الحارث الجزائريُّ: كان فاضلاً، عالماً، شاعراً، صَدوقاً، محقّقاً، من تلامذة الشيخ عليِّ بن عبد العالي العامليّ الكَركيّ».

٢- الشيخُ فرجُ الله الكبيرُ، ابنُ الشيخ سَلمان، المتوفّى سنة (١٠٦٠هـ)، المبثوثةُ ترجمتُه في كتب التراجم؛ إذ ذكر السّيدُ نعمةُ الله الجزائريُّ وغيره من العلماء في أوصافه «زاهداً،



عابداً، كانت السلاطينُ تهابه...»[٢].

أهمُّ العُلماء المدفونين في مقبرة العُلماء

تقعُ هذه المقبرةُ على ضفاف نهر عنتر في مقاطعة (التّيمار)، وهي من المناطق الأثريّة، ولا تزال لحدِّ الآن مقبرةً، وجاء في الوثائق العثمانيّة أنّ السّلطات العُثمانيّةَ فرضتْ حِصاراً على منطقةِ الجزائرِ، ومنعتْ أهلَها من نقل موتاهم للنّجف الأشرف، وكان العلّامةُ الشّهيدُ كاظم الحلفيُّ﵀ يأتي إلى هذه المقبرة، ويقرأُ الفاتحة لأرواح العلماء، وكذلك الشيخُ حسن فرج الله عند عودتهِ من إيران جاء إليها؛ ليزورَ علماءَها المدفونين فيها، ومن أبرزهم:

١-الشّيخُ محمّد بن الحارث الجزائريُّ المنصوريُّ، الذي أفاضتْ كتبُ الرجال في ترجمته، وهو عَلَمٌ في شهرتهِ.

٢- ولدُه، الشّيخ سلمان، المتوفّى (١٠١٧ هـ)، وهو عالمٌ فاضل.

٣- ولدُه الثاني، الشّيخُ عليٌّ، المتوفّى سنة (١٠٢٢هـ)، وهو أبُ الأسرة العلميّة المعروفة بـ(آل المنصوريّ)، الواردةُ ترجمتُها في كتاب (ماضي النَّجف وحاضرها) للشَّيخ جعفر محبوبة.

٤-حفيدُه، العالمُ، الورعُ، الفاضلُ، الكاملُ، الشّيخُ فرجُ الله الكبير، ابنُ الشّيخ سلمان، ابن الشّيخ محمّد بن الحارث، المتوفّى سنة (١٠٦٠هـ).

٥-الشّيخُ أحمدُ، ابن الشّيخ فرج الله الكبير، المتوفّى سنة (١٠٨٧هـ).

٦- الشّيخُ عبدُ السّيد، ابن الشّهيد عبد الإمام، وهو الجدُّ الأعلى لحَمولة آل عبد السّيد الأمير علي الحلفيّ، المتوفّى سنة (١١٥٩هـ)، ذكره الشّيخ محمّد رضا فرج الله الحلفيُّ نقلاً عن أبيه، والشّيخُ كاظم الحلفيُّ في مخطوطة (إعرفْ نَسَبَك: آل عبد السّيد).

٧- الشّيخُ عبد الشّيخ، ابنُ الشّيخ عبد الله، ابنُ الشّيخ أحمد بن محاسن، المتوفّى عام (١٢٨٠هـ).

٨- الشّيخُ رضا، ابنُ الشّيخ عبد الشّيخ.... بن محاسن، المتوفّى (١٢٩٥هـ).

أهم المصادر:

الأنوارُ النعمانية، للسّيد نعمة الله الجزائريّ.

مُعجم الرجال، للإمام الخوئيّ﵀، ج١٦، ص١٩٥.

تأريخ الدولة الآفراسيابيّة، لابن رحمة الحويزيّ، المتوفّى سنة (١٠٥٧ هـ).

مُختصرُ تاريخ رَبيعةَ، بتحقيق الشيخ فلاح الحلفيّ.

مَعَ الكتّاب والمفسّرين، للشيخ كاظم الحلفيّ ﵀.

المدينة جزائر البصرة، للدكتور حسام طعمة والدكتور مشتاق عيدان.

النشاط الديني في جزائر البصرة وأعلامُه، الدكتور مشتاق عيدان اعبيد.

أسئلةٌ وجَهْتُها للأديب المحقّق الشيخ ضياء فرج الله.

الهوامش

١- روضات الجنات: ٢٧٢/٤.

٢- أعيان الشيعة: ٦١/١٣ نقل عن السيد نعمة الجزائري ﵀.



الترجمة: مصنع للطحين والثلج مقام على ساحل شّط البصرة

معاملُ الثَّلجِ القديمة في البصرة

الأستاذ كريم علاوي

قبل استعمال الثلّاجات، كانت هناك طريقتان تُستعملان لتبريد الماء، فقسمٌ يستعملُ صندوقاً من الخشب فيه خزّانٌ من (الجينكو) على امتداد عُرض الصُّندوق، يُملأ هذا الخزّان بالماء، وتُوضع قطعةُ الثّلج التي طولها حسب طول الخزّان، فهناكَ خزّانات لربع قالب، وخزّانات لنصف قالب، وبعد فترةٍ من ملامسةِ الثَّلج للخزّان المملوء بالماء، يبرُد الماء، ويؤخَذ من الصُّندوقِ بواسطة (حنفيّة).

والقسم الآخر، هم الذين لا يملكونَ صندوقَ الخشب، فيشترونَ قطعةَ ثلجٍ مِن بائعِ الثّلج في المنطقةِ وقتَ تناول وجبات الأكل، فتُوضَعُ قطعةُ الثّلج في إناءٍ مملوءٍ بالماء، وخلال تناول الأكل يشربونَ مِن الماء، وفي باقي الأوقات يشربونَ مِن الشّربة، أو مِنَ الحِبّ.

مِن معامل الثّلج في البصرة:

- **معملُ الشّعيبة:** وهذا المعمل شُيِّدَ بعد دخول القوّات البريطانيّة البصرة سنة (١٩١٤م)، ويُستعملُ ثلجُ هذا المعمل للقوّات البريطانيّة الموجودة في الشّعيبة، وعند انسحاب القوّات البريطانيّة من البصرةِ اشترى المعمل



المرحوم الأستاذ (حمّودي البدر) وإخوانه، وبالمناسبة كان الأستاذ (حمّودي) مدرِّباً في الإعداديّة المركزيّة، وعندما كنّا نشاهدُه في الصَّيف عندما يكونُ الجوُّ حارّاً جدّاً ورطباً (الشّرجي)، كان يقولُ: إنْ شاءَ اللهُ يدومُ الشّرجي، والقصد أنْ يشتريَ النّاسُ الثّلجَ لشدّة حرارة الماء أيّام الشّرجي، وعندما يكون الوقتُ قليلَ الحرارة (شمالاً)، يقول: (هسّة وكتك)؟! لأنّ الثلجَ لا يُباع جميعه في مثل هذه الأيّام.

- **معملُ ثلج الموانئ:** شُيِّد المعمل عند انتقال دائرة الموانئ من التّومة إلى المعقل، ويُستعمل ثلجُ المعمل لتزويد البواخر الأجنبيّة التي ترسو على شطّ العرب، والبواخر والسّاحبات والحفّارات والرافعات والزوارق التابعة للموانئ، ولتزويد دوائر الموانئ المزوّدة بأحسن أنواع صناديق الخشب، ويُباع لمنتسبي الموانئ بموجب بطاقاتٍ تُباع في دائرة الحسابات، ويختلفُ شكل قالب ثلج الموانئ عن ثلج المعامل الأُخَر، فهو عريضٌ بينما قوالب ثلج المعامل الأُخَر طويلة.

- **معملُ ثلج كريمكنزي:** وهو معملٌ خاصٌّ بشركة كريمكنزي، وقدْ شُيِّد هذا المعمل في العشرينيّات بجانب موقع الشّركة في بداية الكورنيش، ويبعدُ مسافةً قليلةً عن البنك المركزيّ، وهو قريبٌ من رئاسة جامعة البصرة في الكورنيش، ويُستعمل ثلج هذا المعمل لتغطية حاجة العاملينَ في بواخر الشّركة، فهذه الشّركة لديها بواخر لنقل الرُّكّاب من البصرة إلى بغداد، مثل: مركب (زنّوبة)، و(إحسان)، و(مال أمير). وللشّركةِ وكالاتٌ بحريّةٌ لنقل المحمولات بين البصرة والهند ودول الخليج وبالعكس، فتزوَّد هذه البواخر بثلجِ المعمل، وكان لهذه الشّركة في بداية الأربعينيّات فريقٌ لكرة القدم، ومِن لاعبيه: (صبيح درويش، وكامل سعيد، وجميل شمو، وجميل، وعبد علي، وغيرهم).

- **معملُ ثلج باور هوس:** صاحبُ المعمل (أحمد الحاج وهب)، وسُمِّي المعمل بهذا الاسم؛ لأنّه يقع بجانب دائرة كهرباء العشّار القديمة القريبة من خزّان الماء، وكان يُطلق على دائرة كهرباء العشّار (باور هوس)، ويُباع ثلج هذا المعمل لأصحاب المطاعم والفنادق والمقاهي ومحلّات بيع الثلج، ويُقال: إنّ صاحب هذا المعمل كان رجلاً كريماً يقدِّم الثلج مجّاناً إلى بعض الجهاتِ الخيريّة.

- **معملُ ثلج شاكر طلية:** والد (إدور)، و(إلبير)، و(إدور) بطل البصرة بالملاكمة بالوزن الثقيل؛ لأنّه يزن أكثر من (١٥٠ كغم)، ويقعُ المعمل في الدّاكير في نهاية شارع الخضّارة – حاليّاً- في الجانب الآخر القريب من شطِّ العرب، ويُباع ثلج هذا المعمل للبواخر التي كانت ترسو في الدّاكير، ولأصحابِ الفنادق والمطاعم والمقاهي ومحلّات بيع الثّلج.

- **معملُ ثلج نوري لاسو:** ويقعُ في (السّيمر) في منتصف طريق (بصرة-عشّار)، وثلج هذا المعمل يُباع -أيضاً- لأصحاب شركات البواخر، ولمقاهي البصرة القديمة، ومحلّات بيع الثلج، لأهل المنطقة.

- **معملُ ثلج الجاسم:** والمعمل يعود إلى (آل الجاسم) في الخندق، ويقعُ في طريق (العشّار- المعقل) القديم قرب الجسر الأحمر، ويُباع ثلج المعمل كما يُباع ثلج المعامل الأهليّة الأُخَر لأصحابِ المطاعمِ والفنادقِ والمقاهي وأهلِ المنطقة.

- **معملُ ثلج عبد الجبّار سيف:** ويقعُ هذا المعمل في محلّة الفيصليّة-الجمهوريّة حاليّاً- والمعمل ليس قديماً كقِدم المعامل الأُخَر، ويُباع ثلج هذا المعمل لأصحاب محلّات بيع الثلج في الفيصليّة، ولأهالي المنطقة.

وهذه ابرز معامل بيع الثلج فترة الثلاثينيات والاربعينيات من القرن الماضي



الحَركةُ الثقافيّةُ في البَصرة... إلى أين؟

الأستاذ: مُحسن رَبيع

شَهدت البصرةُ حالةً من الاستقرار دفعَ الكثيرينَ من الصحابةِ والفقهاءِ وحَفَظةِ القرآنِ والأدباءِ والعلماءِ الى أن يتّخذوها سَكَناً وموطناً لهم، الأمرُ الذي كان له الأثرُ الواضحُ على أن تنهضَ نهضةً علميّةً وفكريّةً ظلّت مناراً للأجيال في مختلف العُصور، وقد ازدهرت الحياةُ العقليّةُ في البصرة إلى جانب تقدّمها الاقتصاديّ، فكانت المكتباتُ العامّة والمساجدُ أسمى ما يتوقُ إليه الأهالي في حياتهم، التي كانت دليلاً على الاستقرار، الذي يعدُّ من العوامل الأساسيّة التي مكّنت السكّانَ من أن يمارسوا أنشطتهم الثقافيّة والاقتصاديّة والسياسيّة فيها؛ إذ يمثّل المسجدُ الجامعُ وسوقُ المِربَدِ الواجهةَ الثقافيّةَ للبصرة، فإذا ما تحدّثتَ عنهما، فإنّك تعبّر بذلك عن حَركةٍ ثقافيّةٍ نشطةٍ وواضحةٍ، حَفَلَت بها المدينةُ، واحتلّت مساحةً جغرافيّةً واسعةً، وحِقْبَةً تاريخيّةً امتدّت لسنوات عدّة، وخاصّة في بداية القرن الثاني للهجرة، وأصبحا المركَزَين الرئيسَين لاستقطاب الفعاليّات والنشاطات الثقافيّة، التي تنوّعت بين إلقاءِ الشعرِ، ومحاضراتٍ في اللغة والعَروضِ، ومناظراتٍ علميّةٍ، واحتجاجاتٍ، حتّى ملأت هاتان المؤسّستان الأفاقَ، وذاع صيتهما.

بدأت الحركةُ الثقافيّة تأخذ منحىً جديداً، لاسيّما بعد أن قَدِمَ الإمامُ عليٌّ عليه السلام المدينةَ واستقرَّ فيها أشهراً عدّةً، وألقى على أهلها في مسجدها عدّة خُطب في مسائلَ متفرّقةٍ، وكان أهمَّ ما قام به عليه السلام هو أن ولّى عبدَ الله بن عبّاس المعروفَ في المجال العلميّ والياً على المدينة، فبدأت الحركةُ الثقافيّة تتطوّر، إلى أن أصبحت البصرةُ السبّاقةَ في مختلف العلوم والمعارف؛ فأبو الأسود الدؤليُّ مؤسّسُ علم النحو، والخليلُ ابنُ أحمد الفراهيديُّ في العَروض، وفي الكلام واصلُ بنُ عَطاء مؤسّس الاعتزال، وفي الفلسفة الكنديُّ، أوّلُ فيلسوف

عند العرب، وابنُ سعد وخليفةُ بنُ خياط في التاريخ، وأمّا في الشعر، فكان سوقُ المِربَدِ يشهدُ على أسبقيّة أهل البصرة في هذا الميدان، ويكفي البصرةَ فخراً أنّ من شعراء البصرة الفرزدقَ مثلاً، وفي علم البَصَريّات نجد ابنَ الهَيثم، وكان بدءُ تأسيس مذهب الأشاعرة الكلاميّ على يد أبي الحَسَن الأشعريّ، وهو من رجالات البصرة.

وأمّا في التاريخ الحديث والمعاصر، فإنَّ عَقدَ الثلاثينيّات والأربعينيّات من القرن العشرين يعدّان من العقود الهامّة، انفتح العراقُ على محيطه الإقليميّ والعالميّ، وطوَّرَ عَلاقاتِه الدوليّةَ، ممّا فسحَ المجالَ لتأسيس وتأليف الكثير من التيّارات والمنظّمات، التي آمنت ونشطت في إطار نظريّات فكريّة وثقافيّة لم تكن معروفةً ومعهودةً لدى العراقيّين خلال العقود السابقة؛ فظهرت بعضُ الجماعات الفكريّة والنوادي الثقافيّة، وازداد عددُ الصُّحف في البلاد، وتنوَّعَت الأحزابُ بأشكالها المختلفة، وتفاوتت في نشاطاتها السياسيّة، وكذا دخلت الكتبُ والصحفُ الأجنبيّة، وكثرت الزياراتُ المتبادَلَة مع دول العالم المختلفة، وكانت البصرةُ من المدن التي أصابها ذلك التغييرُ بنسبةٍ كبيرة؛ بسبب ما تمتّعت به المدينةُ من موقع جغرافيٍّ واستراتيجيٍّ وإمكاناتٍ اقتصاديّة وبَشَريّة.



وعن أبعادِ الحركة الثقافيّة وواقعها في البصرة، والمسارِ الذي يجب أن تتّخذه في وضعنا الراهن، توجّهنا بالأسئلة إلى بعض المهتمّين بالشأن الثقافيّ، اللذين تباينت أراؤهم في هذا المجال؛ فالبعضُ يقرُّ بوجود حركة ثقافيّة، ولكنه يرى أنّها دون المستوى المطلوب، والبعضُ الآخر ينكر وجودَها, فالتجمّع الثقافيُّ في حيّ العشّار في البصرة أعطى رأيَه في الموضوع، وأكّدَ أن هناك الكثيرَ من العوامل والأسباب السياسيّة والاقتصاديّة والبطالة، هذه كلُّها عواملُ ساعدت على ضعف الثقافة، علاوة على أنّه يجب أن تكون هناك ثقافةٌ هادفةٌ.

وبالرُّغم من ذلك، فإنّ هناك حركةً ثقافيّةً في البصرة؛ من خلال الاجتماعات واللقاءات التي تُعقد، التي يلتقي فيها مثقّفو البصرة، من فنّانين ورسّامين وموسيقيّين، لاسيّما في يوم الجمعة؛ حيثُ الأصبوحة الثقافيّة التي يتمّ من خلالها مناقشة حال الوضع الثقافيّ في البصرة، والمثقّفين الذين يعيشون بمعزل عن المجتمع، ومناقشة الوضع السياسيّ الراهن، وما يدور من أحداث في البلد.

ويرى البعض فيما يرجع الى دور المثقّف في ما يجري من أحداث أنّه ليس له قرارٌ، وإنّما القرارُ كلّه بيد السياسيّ، الذي أخذ يملك زمام الأمور، وأمّا السيد أبو أحمد، المسؤولُ في مكتبة الإمام الهادي عليه السلام العامّة في حيّ العشّار أيضاً، فقد أجاب على سؤالنا، فقال: توجد حركة ثقافيّة في البصرة، ولكنّها عرجاءُ فرديّةٌ غيرُ مؤسّساتيّة، وذاتُ تأثير ضعيف، وهذا ما نلاحظه من خلال حركة الناس اليوميّة وممارساتهم، التي تنمُّ عن تخلُّفٍ كبير وتأخُّر عن المجتمعات المتطوّرة، وحتّى النامية، ومعنى هذا: أنّنا ذاهبون نحو مستوى منحدر؛ بفعل التوتّرات السياسيّة والتوجيه الإعلاميّ المُغرض، يضاف الى ذلك أنّ الحركة الثقافيّة البصريّة تحتاج دعماً (كبيرا)؛ لترميم المؤسّسة الثقافيّة المتكاملة المؤثرة في أوساط المجتمعات، وهذا يقع على عاتق الدولة ووزارة الثقافة والإعلام وفي عهدتهما، التي هي الأخرى أصبح حالها حال الوزارات الأخرى في ترهّلها وانحسار النتاج الثقافيّ لها، وهي الآن تراوح مكانها، وتخدم نفسَها بنفسِها بمعزلٍ عن المجتمع.

والجواب عن السؤال: أنَّ أيَّ حركة ثقافيّة يجب أن ننشدها في الوضع الراهن، فالكلُّ يعلّقُ لافتةً يكتب عليها تحت عنوان



ثقافيٍّ؛ فقد أكّد أيضا السيدُ أبو أحمد أنَّ الكثير مما يُكتب تحت مسمّىً أو عنوانٍ ثقافيٍّ، مثل: المؤسّسة الثقافيّة، والتجمُّع الثقافيّ، أو الملتقى الثقافيّ، وغيره من المسمَّيات الأخرى، إنّما هي مجرّد عناوين؛ فهناك مجموعةٌ من الأشخاص تؤسّسُ تجمّعاً أو نادياً، ويكون داخل هذه المؤسّسة اجتماعٌ على شرب الشاي أو الحامض، فضلاً عن أنّ هذه المؤسّسات تعمل نشاطاً ثقافيّاً، كمسابقة، ويتمُّ إهداءُ بعضهم البعض دروعاً أو شهاداتٍ تقديريّةً، أو ما شاكلَ ذلك، في الوقت الذي تذهبُ فيه إلى المناطق الشعبيّة، فماذا تجد؟ تجد انعدام الخدمات، فأين المثقَّفُ من ذلك؟!

وأما مشكلة الارتقاء بالشأن الثقافيّ، فيكمن الحلُّ في إخلاص النيّة، وصدق العمل على دعم المؤسَّساتِ الثقافيّةِ، ونقصد بالمؤسَّسات الثقافيّةِ مثلَ نقابة المعلّمين، واتّحاد الأدباء والكتّاب، واتّحاد الشعراء الشعبيّين، وغير ذلك.

وأمّا الدكتورُ ضمير لفتة، التدريسيُّ في جامعة البصرة، فقد أظهر أنّ الحركةَ الثقافيّةَ تجري بتلازم مع الحالة الاجتماعيّة، مثلاً: طابعُ الحُزن في المجتمع يكوّن الثقافةَ، فتكتبُ عن الحزن أو مجتمع مترف، يكون طابعُ الثقافة مترفاً أيضا، وأمّا المستوى الثقافيُّ في البصرة، فهو ليس بالمستوى المطلوب؛ نتيجةَ عدّة أسباب، منها: سرعةُ الأحداث، وميلُ المجتمع نحو السرعة، وهذه السرعة تضرب قضيّة التأمّل، التي هي عماد العمل الأدبيّ. وميلُ المجتمع للمادّيّات، جعل منه في حال من عدم الحياة، واستشعاره يكون هنا بمعزل عن المجتمع؛ بسبب انصراف هذا المجتمع إلى اللذائذ والغرائز كما قلنا؛ لذا، يكون الأديب في واد والمجتمعُ الغارقُ بمادّيّاته في وادٍ آخر، فإمّا يكونُ الأديبُ مصاباً بالسطحيّة أو الخيال.

كذلك سألنا التدريسيَّ في قسم اللغة الانجليزيّة، كلية الآداب/ جامعة البصرة، الدكتور حامد مردان، عن واقع الحركة الثقافيّة، وعن دور المثقّف في الأحداث الجارية، فأجاب: إنّ الحركةَ الثقافيّة في البصرة غير موجودة، وإن كانت كذلك، فهي دون مستوى الطموح، ومبعثرة هنا وهناك، ومَثَلها كَمَثل بِرادَة الحَديد، التي تحتاجُ إلى مغناطيس حتّى يجمع هذه البِرادةَ، فالحاجة ملحّةٌ إلى جمع أشتات الحركة الثقافيّة في البصرة، ومدّ يد الرعاية والاهتمام والدعم المادّيّ والمعنويّ من قبل الحكومة.

وأمّا عن دور المثقَّف ومدى تأثيره في المجتمع، فدورُه يكاد يكون معدوماً.

في حين أكّد الدكتور سعد الفرطوسيّ، التدريسيُّ في كلية التربية/ بنات/ في مجمّع كلّيّات باب الزبير، عندما سألناه السؤال ذاته، فقال: تفتقرُ الحركة الثقافيّةُ في البصرة إلى العُمق؛ فهي حركةٌ سطحيّةٌ لا تغوص في أعماق الواقع، وحتّى القائمون على الثقافة في البصرة نجدُهم من خلال حضورنا لبعض النشاطات التي يقيمونها دون المستوى المطلوب من الثقاف؛ فبالأمس مثلاً نسمع في الأدب عن النثر والشعر، أمّا الآن، فالشاعر عندما يرتقي المنصّةً يلقي قصيدة أسماها (شعرَ النّثر)، وعندما تسمع الشعرَ، يخال لك أنّه نثرٌ وليس شعراً.



مكتبةُ الإمام الحَكيم قدّسَ سرّهُ العامّةُ في جامع الأحْسائيّة الزُّبير

الشيخ صادق المسلم

كان للمرجع المرحوم السيّد محسن الحكيم قدّسَ سرّهُ الدورُ البارزُ والواضحُ في تأسيس ونشر المكتبات العامّة التي تحتوي على كنوز الكتب الثقافيّة في عموم العراق، وبخصوص المحافظاتِ، فجعل في كلّ قرية ومدينة مكتبةً غنيّةً بالمعارف الثقافيّة التي تأخذ بالمجتمع الى سفينة النجاة والطريق الصحيح، وكانت من تلك المكتبات التي أُنشئت أواخر الخمسينات وتحديداً عام ١٩٥٨م مكتبةُ الإمام الحكيم قدّسَ سرّهُ العامّة في قضاء الزبير، وبالتحديد في مسجد الأَحْسائيّة.

تعدُّ المكتبةُ واحدةً من ضمن عَشَرات المكتبات المنتشرة في عموم العراقِ، والهدف الرئيسُ منها نشر الثقافة والمعرفة في المجتمع ومواجهةُ الأفكار الإلحاديّة الهدّامة، التي تؤثّر سلباً على الشباب، الأفكار التي انتشرت في تلك الفترة، وخصوصاً في الأوساط العلمية المثقّفة، وأصبح الميولُ إليها واضحاً عند الكثير من شبابنا.

وكان لمكتبة الإمام الحكيم قدّسَ سرّهُ فرع الزبير، التي تعدُّ أوّلَ مكتبة أنشئت في محافظة البصرة، وكان يديرها ثُلّةٌ من خيرة شباب المنطقة، الذين عملوا على تثقيف وتوعية المجتمع، وقد أَتحفوا المنطقةَ بجيلٍ يقود هذا الصرحَ العظيمَ بالأفكار التي تحمل الفكر الاسلاميَّ والشريعةَ الحقَّةَ، التي جاء بها النبيُّ وأهلُ بيته الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين)، من فترة الستينيّات إلى السبعينيّات من القرن المنصرم، وكان فيها من الكتب المهمّة في بداية افتتاحها عددٌ بسيطٌ لا يتجاوز المائةَ كتاب، ولكنّها الآن تضمُّ ما يقرُب من ٤٠٠٠ كتاب.

عانَت المكتبةُ وإدارتُها وروّادها في - سابقاً- الكثيرَ من الاضطهاد؛ باعتبارها معلماً إسلاميّاً واضحاً؛ إذ كانت



الانظمةُ الاستبداديّةُ السابقةُ تحارب أيَّ توجُّه إسلاميّ، وبالخصوص الصروحَ العلميّةَ التي تتحفُ عقولَ الشباب وتبثُّ الثقافةَ والوعيَ في المجتمع، ولا سيّما المكتبات الدينيّة؛ فقد اعتُقل جميعُ أعضاء الهيئة الإداريّة في مكتبة الإمام الحكيم في الزبير عام ١٩٧٩م، وصودر جميعُ ما في المكتبة من كتبٍ ومُقتنيات، وتمّ أغلاقها إلى عام ٢٠٠٣م، وفي عام ٢٠٠٤م، أعيدت المكتبة من جديد؛ وذلك بجهود الشباب والأخوة المؤمنين، وقد أهديت للمكتبة العديدُ من الكتب من بعض دور النشر، وحضيت أيضاً بدعمٍ وإشرافٍ مباشرٍ من مكتب سماحة الله العظمى، المرجع الكبير، السيّد محمّد سعيد الحكيم (رضوان الله عليه).

وبالنظر الى انتشار الكتاب الالكترونيِّ على نطاقٍ واسعٍ من عالم القراءة اليوم، وعزوفِ الكثيرِ من شبابنا عن المطالعة والقراءةِ، فقد باتت الأعدادُ التي ترتاد المكتبة قليلةً، ونحن نطمح لتطوير المكتبة وجذبِ الشباب؛ لذا، أقمنا العديدَ من النشاطات فيها، منها: إقامة المسابقات الدينيّة في شهر رمضان المبارك؛ لتثقيف الشبابِ، وإحياء ذكر الأئمّة عليهم السلام.

إلى جانب ذلك، هناك برنامجٌ أسبوعيٌّ في القراءة والتثقيف، يقوم أحدُ الشباب فيه بقراءة كتابٍ، ويختارُ جزءاً منه، وفي نهاية الأسبوع يجتمع الشبابُ في المسجد لمناقشة هذا الموضوع، إلى جانب الكثير من الأنشطة الهادفة الأخرى.



الدكتور جواد كاظم النصر الله

في حوارٍ مع الخطوة

حوار عبد العزيز مسلم

يطيب لنا أن نستضيف في هذا العدد من مجلة الخطوة الثقافية الأستاذ الدكتور جواد كاظم النصر الله؛ ليتحدث لنا عن مسيرته العلمية.

في البدء أهلاً ومرحباً بك جناب الدكتور ضيفاً عزيزاً علينا، ونبدأ حوارنا معك بتعريف سيرتكم الذاتية.

بدايةً أشكركم لإتاحة هذه الفرصة لنا للحديث حول مسيرتنا العلمية، إنِّي من مواليد محافظة الناصرية من عام ١٩٧١م انتقلت الى البصرة سنة ١٩٨٨م، وحالياً أنا أسكن قضاء الزبير، أستاذ في جامعة البصرة قسم التاريخ منذ حوالي ٢٣ سنة.

هل بإمكانكم ان تذكروا لنا أسماء المدارس التي تدرجتم بها خلال فترة دراستكم الأولية؟

درست الابتدائية في مدرسة المحمدية والمتوسطة كذلك في نفس المدرسة، أما الإعدادية فكانت في ثانوية الإصلاح، وبعد انتقالي الى البصرة أكملت الإعدادية في ثانوية الحسن البصري، وتم قبولي في كلية الآداب (كليات باب الزبير) عام ١٩٨٩م

ما هو عنوان بحثكم في مرحلة البكالوريوس؟

عنوان البحث كان: جذور الاصطدام العباسي العلوي

الأول ونتائجه المستقبلية، والمقصود به (ثورة محمد ذو النفس الزكية).

هل كانت لكم رغبة سابقة في الدخول الى الدراسات العليا؟

عندما تخرجت من البكالوريوس عام ١٩٩٣م لم أكن أفكر بالدراسات العليا لأنني كنت أعدّها شيء أعلى من مستواي على الرغم من أني كنت من الطلبة الأوائل والثالث على الكلية.

وفي عام ١٩٩٥م حصلت هذه الرغبة وقدّمت على دراسة الماجستير بعد ان أكملت الخدمة العسكرية، ودرست الاقتصاد الإسلامي (الازمات الاقتصادية في العصور الإسلامية) وناقشتها سنة ١٩٩٨م وحصلت فيها على تقدير جيد جداً، وفي نفس العام تم تعييني في جامعة البصرة / قسم التاريخ، وفي العام التالي قدّمت على دراسة الدكتوراه وانتهيت منها عام ٢٠٠٣م، وكانت أُطروحتي بعنوان: الإمام علي عليه السلام في فكر المعتزلة، وقد سبب لي هذا العنوان معاناة كبيرة، حتى في الحصول المصادر التي كنت ابحث عنها فكانت من الكتب الممنوعة آنذاك، إلا أن المشرف الدكتور محمد جواد الموسوي رحمه الله اتصل بلبنان واشترى لي نسخة من كتاب شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد، وأُدخل الى العراق بصورة غير مباشرة؛ عن طريق دار الحكمة في بغداد.

كيف تخصصتَ في دراسة وتدريس مادة التاريخ الإسلامي؟

كنت أحب هذا الاختصاص وأقرأ الكتب عنه وأنا في فترة البكالوريوس، ومن محاسن الصدف إن في نفس العام الذي تم تعييني فيه في الجامعة تم استحداث مادة جديدة اسمها الفكر الإسلامي، وتم تسليمي هذه المادة لأُدرّسها، وبقيت أُدرّسها الى اليوم ولله الحمد.

من هو أبرز الأساتذة الجامعيين الذي كان له دور في توجهك العلمي؟

هو الدكتور محمد جواد الموسوي رحمه الله فهو توفي في الفترة الأخيرة، وهو أستاذ في الفلسفة الإسلامية في جامعة البصرة وله أثر كبير في توجُّهي الى دراسة المعتزلة، وقد كتبت كتابين في رأي المعتزلة بالإمام علي عليه السلام، الأول: الامام علي في فكر معتزلة البصرة، والثاني: في فكر معتزلة بغداد.

إن الملاحظ من خلال مؤلفاتكم بأنكم تهتمّون بتراث البصرة، ما السبب الذي دعاكم الى ذلك؟

في اطروحتي للدكتوراه كان جزء منها حول رأي معتزلة البصرة في الامام علي عليه السلام، ثم بعد عام ٢٠٠٣م تم إنشاء مركز داخل الجامعة سُمي: (مركز إحياء تراث البصرة) وتم تكليفي بإدارة هذا المركز، واستمر عملي فيه لمدة خمس سنوات، وكان صلب العمل هو تراث البصرة، فقمت بالبحث عن أماكن البصرة وأعلامها عبر التاريخ، ثم أوجدْتُ مجلة ننشر فيها مواضيع تخص تراث البصرة، وبعد مدة قمنا بدراسة حول تغيير اسم مركز إحياء تراث البصرة الى اسم: مركز دراسات البصرة، لان الاسم الاول منحصر بالتاريخ فقط؛ أما الاسم الثاني فشمل كل شيء عن البصرة، ورفعنا طلب الى الوزارة وجاءت الموافقة، وتم تغيير العنوان، ثم بدأت أستقطب كوادر بحثية وتدريسية من مختلف الاختصاصات، وحتى الاختصاصات العلمية، حتى وصل عدد الباحثين الى أربعين باحثاً من جميع الاختصاصات.

و كان حالي كحال بقية الأساتذة والباحثين كنا نعمل على كتابة البحوث الخاصة بالبصرة، ولهذا السبب كان توجهي نحو تراث البصرة.

ما هو أول بحث نشر لكم ؟

أول بحث نشرته كان في مركز إحياء تراث البصرة، وكان بعنوان (أول درهم ضرب في البصرة) والمقصود به: أول درهم عربي إسلامي، لان النقود الإسلامية سابقا كانت إما درهما فضياً ساسانياً، او ديناراً ذهبياً بيزنطياً.

كم مؤلفاً صدر لجنابكم لحد الآن، وما هو الأقرب الى نفسكم ولماذا؟



صدر لي لحد الآن ١٧ كتاباً وهناك بعض الكتب يجري العمل على إكمالها، أما القرب الى نفسي هو كتاب: مصادرة الحق السياسي والاقتصادي لأهل البيت (عليهم السلام)، والسبب: لأن الامر الذي درسته في هذا الكتاب مهم جداً، ولم أعتمد في هذه الدراسة على مصادرنا، بل اعتمدت على مصادر الطرف الآخر فقط، ويثبت هذا الحق لأهل البيت (عليهم السلام) بشكل تفصيلي، ويأتي بعده كتاب الامام علي (عليه السلام) في رحاب البصرة، وفي هذا الكتاب قدَّمت الكثير من التفاصيل التي لم أجدها في كتاب آخر، حيث جمعت مادته من شتات المصادر.

هل كانت لكم مشاركات في الندوات والمؤتمرات، وما هي أبرزها؟

نعم شاركت في الكثير من المؤتمرات والندوات، وكلها كانت حول أهل البيت عليهم السلام، وأذكر منها: مشاركتي في ندوة بعنوان (الامام علي عليه السلام في الفكر المسيحي)، ومشاركة أخرى في أحد المؤتمرات الذي كان بعنوان: (الامام الكاظم عليه السلام في الرؤية الإستشراقية)، وهنالك مشاركات عديدة لا يسع المقام لذكرها.

كيف تجد مبادرة العتبة العباسية المقدسة في إنشاء مركز تراث البصرة؟

هذه مبادرة ممتازة ونشكر العتبة العباسية عليها، أنا عندما كنت مديراً لمركز إحياء تراث البصرة وجدت أن واقع البصرة يحتاج الى قراءة جديدة ولكن دعم الجامعة آنذاك محدود جداً، لذلك عندما أرادت العتبة العباسية المقدسة إنشاء هذا المركز التقيت أنا وبعض الأساتذة بجناب الشيخ شاكر المحمدي (دام توفيقه) وتحدثنا بهذا الخصوص ثم التقينا بعد ذلك بجناب المتولي الشرعي للعتبة المقدسة السيد أحمد الصافي (أعزّه الله) وأيضاً طرحنا ذلك على سماحته أن يكون هنالك قراءة جديدة لواقع البصرة، وكان رده: هذا ما أردناه، إعملوا على ذلك وادرسوا البصرة من جديد.

وأنا أتمنى أن تكون هنالك دراسة الى تاريخ البصرة منذ القِدم وذلك بالتعاون مع جميع الجامعات العراقية وليست جامعة البصرة فقط.

وهناك مشروع كنت أعمل عليه في الجامعة لكنه لم ينجح بسبب قلة الدعم، وهو مشروع أعلام البصرة، ليكون موسوعة كما كُتب عن أعلام بغداد وأعلام دمشق، لذلك نتمنى من هذا المركز ان يستقطب عدد إضافي من الكوادر العلمية ليتمكن من استيعاب هذا المشروع الكبير، وإني التمس نجاح هذا المشروع إذا تبناه مركز تراث البصرة.

هل لديكم كلمة أخيرة تودون طرحها في نهاية هذا الحوار؟

شكراً لكم ولجهودكم، رغم المصاعب التي تواجهونها لكنني أرى تقدمكم يوماً بعد يوم، ونتمنى منكم المزيد من العطاء.



استراتيجيّةُ المراقبة، وفاعليّةُ النّظام الرّقابيّ في فِكْرِ أميرِ المؤمنينَ عليهِ السّلام

دراسةٌ في كتابِهِ إلى واليهِ على البصرةِ (عثمان بن حُنيف)

الحلقة الأولى

أ. د. شكري ناصر عبد الحسن

تُعدُّ عمليّة المراقبة والمتابعة من أساسيّات النّجاح والتقدّم في العمل الإداريّ، الذي بموجبه تتّضح حقيقة شخصيّة الدّولة وفرض هيبتها وسلطتها، ويرى بعض الباحثين أنّ المراقبة تعني: «وسيلة الإدارة لكشف الانحرافات... وللرّقابة مجموعة من الأنواع، فمنها ما يُستخدم لعلاج المشكلة قبل وقوعها، ومنها ما يُستخدم لعلاج المشكلة أثناء وقوع المشكلة، ومنها ما يُستخدم لعلاج المشكلة بعد وقوعها، وهناك نوع آخر غير موجود في الإدارة الوضعيّة، وهو يتمثّل في الرّقابة الذاتيّة، التي تميّز الإدارة الإسلاميّة عن غيرها»[1].

وتنشأ المراقبة والمتابعة عادة منْ ثلاثِ حالاتٍ:

١- وجود جهاز رقابيّ حكوميّ فاعل.

٢- وجود الشّعور والوعي المجتمعيّ بالمسؤوليّة الشّرعيّة والوطنيّة.

٣- ثنائيّة الجهاز الرّقابيّ الحكوميّ والوعي المجتمعيّ.

وتُعدُّ المراقبة على نشاطات الجهاز الإداريّ وظيفة

حيويّة في الدّول الحديثة، ويتلخّص الهدف الأساس من الرّقابة في التأكّد من أنّ الأعمال تسير في الاتجاه الصّحيح وفق الأهداف المرسومة لها، وإنّ هذه الأهداف تتحقّق على مستوى عالٍ من الفاعليّة والكفاءة والعلاقات الإنسانيّة السَّليمة[٢].

وتُعرَّف الرّقابة بأنّها عمليّة «اكتشاف ما إذا كان كلُّ شيءٍ تمَّ ويتمُّ وفقاً للخطط الموضوعة، والتعليمات الصّادرة، والمبادئ السَّارية، وأنّها تهدف إلى الوقوف على نواحي الضّعف والأخطاء، ومِن ثَمَّ العمل على علاجها، ومنع تكرارها، وإنّ الرّقابة تكون على كلِّ شيءٍ، سواء كانت أعمالاً أو أشياء، أو أفراداً، أو مواقف»[٣].

أمّا في الفكر الإسلاميّ، فتعرَّف الرّقابة لغةً بأنّها: «مراقبة الشيء والحفاظ عليه»[٤]، وتُعرَّف الرّقابة الإسلاميّة بأنّها: «متابعة وملاحظة وتقييم التصرّفات والأشياء بواسطة الفرد ذاته، أو بواسطة الغير، وذلك بهدف التأكّد من أنَّها تتمُّ حسب قواعد وأحكام الشّريعة الإسلاميّة، وبيان الانحرافات والأخطاء، تمهيداً لعلاجها أوّلاً بأوّلٍ»[٥].

ومن أجل فهم واستطلاع طبيعة وفاعليّة الجهاز الرّقابيّ والاستراتيجيّة الرقابيّة التي أظهرها أمير المؤمنين عليه السلام في تعامله مع حالات الفساد الإداريّ، أو مواطن الخلل الإداريّ التي يتعرّض لها هذا الجهاز، لابدّ من وقفة على كلِّ مظهرٍ من مظاهر الرّقابة الثّلاثة، ومِن ثَمّ الوصول إلى ماهيّة وطبيعة المنهج والأسلوب الذي اعتمده أمير المؤمنين عليه السلام في عمليّة المراقبة والمتابعة.

أوّلاً: وجود جهاز رقابيّ حكوميّ فاعل ومتطوّر

يُعدّ وجود جهاز رقابيّ حكوميّ فاعل ومتطوّر علامةً فارقةً في قياس واستشعار قوّة الدّولة من عدمها، فهو يجعل للدّولة اليد الطولى في إدامة سلطتها وسيطرتها على كلِّ مفصل من مفاصل مؤسَّساتها الإداريّة، ويُعطيها القدرة على التواصل مع مشكلات مجتمعها، ومتابعة مواطن الخلل والخطر التي تداهمها على مستويات مختلفة.

وأسلوب مزاولة الرّقابة المفروضة من الحاكم يتضمَّن جملة من الأمور والخطوات، يمكن تلخيصها بما يأتي[٦]:

١- حسن اختيار الولاة.

٢- مراقبة الحاكم للولاة ومتابعة أعمالهم.

٣- تقبّل الحاكم والولاة لنقد الرّعيّة ونصيحتهم.

٤- دراسة شكاوى الرّعيّة في ولاتهم ورؤسائهم.

لذلك، فإنّ المسؤوليّة الشرعيّة فضلاً عن الأخلاقيّة توجب على الحاكم أنْ يُباشر أساليب الرّقابة كافّة بنفسه، ليكون على اطّلاع عن كثب لمدى قيام العمّال بواجباتهم في إدارة شؤون الرّعيّة، ورد في الحديث المروي عن النّبيّ صلى الله عليه وآله: «كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته، الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيَّته، والرَّجل راع في أهل بيته ومسؤول عن رعيّته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيَّتها، والخادم راعٍ في مال سيِّده ومسؤول عن رعيَّته، وكلُّكم راعٍ ومسؤول عن رعيَّته»[٧].



والذي يمكن استنتاجه من قدرة الدّولة على إيجاد الجهاز الرّقابيّ وتفعيله ما يأتي:

١- إنّه يؤهّلها لأنْ تكون على مستوى الثّقة لدى مواطنيها.

٢- إنّها تتمّكن من أنْ تزرع الخوف والخشية والرّعب في نفوس العناصر المفسدة، أو أولئك الذين يمتهنون العبث بمنعهم من تحقيق أهدافهم.

٣- إنّها تتمّكن من زرع الثّقة في نفوس مواطنيها بوصفها قادرة على الوصول إلى مواطن الفساد وإصلاحها.

٤- قدرتها على المحافظة على وجودها وكيانها بوصفها سلطة تمكّنها من تنفيذ سياساتها وإجراءاتها لإدارة أُمور الرّعيّة.

ثانياً: وجود الشعور والوعي المجتمعيّ بالمسؤوليّة الشرعيّة والأخلاقيّة

تُعدّ حالة وجود الشّعور والوعي المجتمعيّ بالمسؤوليّة الشّرعيّة والأخلاقيّة في عمليّة المراقبة عنصر مهم من العناصر الرّقابيّة التي تمنح الدّولة جانب القوّة، وتمكّنها من تحقيق سياساتها الرّقابيّة، ويمكّنها من إشاعة ثقافة النّظام، وذلك بوجود مجتمع واعٍ ومتمكّن من دوره الشرعيّ والأخلاقيّ في حفظ النّظام وإقامة الحدود والقوانين، بعيداً عن المصالح الذاتيّة والشخصيّة.

إنّ وجود مجتمع كهذا، وبهذا المستوى من التفكير، يعني وجود قوّة بشريّة هائلة، وطاقات فكريّة متميّزة تأخذ على عاتقها مسؤوليّة توفير المعلومة الاستخباريّة للدّولة، وتشخيص حالات الفساد، الأمر الذي يوافر على الدّولة الوقت والجهد، ويُعطيها الأفضليّة في سرعة المبادرة في معالجة هذه الحالات.

ويرى المختصّون في شأن الرّقابة الإداريّة أنّ الرّقابة الشّعبيّة تعني: «متابعة أفراد الأمّة لنشاطات السّلطة التنفيذيّة المتمثّلة بالجهاز الحكوميّ المكوَّن من الحكّام وولاة الأمر وأعمالهم، في مجالات الحياة كلّها، ومناصحتهم عن طريق الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، لمعالجة الأخطاء والمخالفات الواقعة منهم والقضاء عليها»[٨].

ويُستدلّ على مشروعيّة الرّقابة الشعبيّة ببعض الآيات القرآنيّة، منها قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٩].

وقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾[١٠].

وقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١١].

وجاء في الحديث الشّريف عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «والله، لتأمُرُنَّ بالمعروف ولتنهُنَّ عن المنكر، ولتأخُذُنَّ على يدي الظّالم، ولتأطِرُنَّه على الحقّ أطراً، ولتقصُرُنَّه على الحقّ قصراً»[١٢].

وروي عنه ﷺ أنّه قال: «والذي نفسي بيده، لتأمُرُنَّ



بالمعروف، ولتنهُون عن المنكر، أو ليُوشكنَّ الله أنْ يبعثَ عليكم عقاباً منه، ثمَّ تدعونه، فلا يستجيبُ لكم»[١٣].

إذن، فالآيات القرآنيّة والأحاديث المرويّة عن النّبيِّ صلى الله عليه وآله، قدْ أعطتْ المشروعيّة للأمّة، ومنحتْها الصّلاحيّة في مراقبة عمل العمّال من خلال الفريضة الواجبة، وهي فريضة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ولعلَّ الإشارة القرآنيّة في هذا الجانب كانتْ شديدة في توجيه المجتمع الإسلاميّ نحو تطبيق هذه الفريضة وعدم تركها، أو التّهاون بها؛ لأنّ ذلك يمثِّل مدعاة لتسلّط الظّلم واستشرائه واتّساعه، وانتشار الفساد في الأرض، وضياع الحقوق.

إذن، وجود الرّقابة الشعبيّة التي سمَّيناها (وجود الشّعور والوعي المجتمعيّ بالمسؤوليّة الشّرعيّة والأخلاقيّة)، يعني عدّة أُمور نبيّنها في النقاط الآتية:

١- قيام المجتمع بواجباته الرّقابيّة في متابعة العمّال.

٢- انتشار ثقافة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

٣- انتفاع الدّولة من القوى المجتمعيّة المختلفة في بناء كيان إداريّ رصين.

٤- سرعة نقل المعلومة الاستخباريّة، ما يؤدِّي إلى تقليل الأضرار النّاتجة عن الانحراف والفساد في المسارات الإداريّة.

ثالثاً: ثنائيّة الجهاز الرقابيّ الحكوميّ والوعي المجتمعيّ

إنّ قيام الدّولة بايجاد آليّة عمل موحَّدة تجمع بين تفعيل عمل الجهاز الرّقابيّ الحكوميّ، وتوظيف الوعي المجتمعيّ للنهوض بمسؤوليّته الأخلاقيّة والشّرعيّة، يُعدُّ في حدِّ ذاته تطوّراً في العمل الرّقابيّ؛ لأنّه يُمكِّن الدّولة من تطبيق سياساتها الأمنيّة وفرض سلطة النّظام، فاستجابة المجتمع ووقوفه على استراتيجيّة الدّولة الهادفة لمحاربة الفساد والخلل الإداريّ، وتفاعله مع هذه الاستراتيجيّة، يُعطي دافعاً قويّاً ورغبة كبيرة في التعاون معها، ليكون المجتمع بذلك جزءاً من هذه الاستراتيجيّة، ومن ثَمَّ تكتمل عمليّة بناء مجتمع متكامل تتحقّق فيه العدالة، وتُضمن فيه الحقوق للرّاعي والرّعيّة.

ولعلَّ من المظاهر المميَّزة في هذه الثنائيّة، هو تفاعل الدّولة مع الشّكاوى الواصلة من أبناء المجتمع ضدّ العمّال (الموظّفين) بصورة بلاغات، أو تظلُّمات، تتعلَّق عادة بمخالفات هؤلاء العمّال للأسس والقواعد التي رسمتها الدّولة لهم في أداء واجباتهم؛ لذلك، فإنّ اهتمام الدّولة بتلك الشّكاوى يُعدُّ من أرقى وسائل المتابعة والمراقبة الفعّالة التي تجعل من جميع الأفراد رقباء على أعمال الإدارة[١٤].

ولو أردنا أنْ نتوقَّف على الأبعاد الرّقابيّة عند الإمام عليٍّ عليه السلام خلال مدّة حكمه للدّولة الإسلاميّة (من ٣٥ إلى٤٠هـ)، وباعتماد كتابه إلى عثمان بن حنيف الأنصاريّ واليه على البصرة، فإنّنا نلحظ هذا الجانب واضحاً في الفقرة الأولى من هذا الكتاب، التي تنصُّ على: «أَمَّا بَعْدُ يَا ابْنَ حُنَيْفٍ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلاً مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَأْدُبَةٍ، فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا، تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوَانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ، وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ، فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هَذَا الْمَقْضَمِ، فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ، فَالْفِظْهُ، وَمَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ، فَنَلْ مِنْهُ»[١٥].

من خلال هذا النصّ سنحاول أنْ نقرأ أهمّ معالم استراتيجيّة المراقبة والمتابعة وفاعليّة النّظام الرّقابيّ عند أمير المؤمنين عليه السلام، ونرى أنّها تتمثّل في الجوانب الآتية:

يتبع...



الهوامش

١- الهايل، المصريّ، أثر تطبيق مبدأ الرّقابة الإسلاميّة في إنجاح البنوك الإسلاميّة في قطاع غزّة: ص١١٠٢.

٢- يُنظر: المطيريّ، خاشقجيّ، الرّقابة الإداريّة بين المفهوم الوضعيّ والمفهوم الإسلاميّ: ص٦٦.

٣- المطيريّ، خاشقجيّ، الرّقابة الإداريّة بين المفهوم الوضعيّ والمفهوم الإسلاميّ: ص٦٧.

٤- الفراهيديّ، العين، (مادّة رقب)؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة: ص٣٩٦ (مادّة رقب).

٥- المطيريّ، خاشقجيّ، الرّقابة الإداريّة: ص٧٥.

٦- يُنظر: أنس المختار، الرّقابة الإداريّة في الإسلام: ص٥٥٦-٥٥٧.

٧- أحمد بن حنبل، المسند: ٥/٢؛ البخاريّ، الجامع الصّحيح: ٢١٥/١؛ ابن حزم، المحلّى: ٣٤٧/١١.

٨-أوزدمير، حمزة، الرّقابة الشعبيّة في ميزان الفقه الإسلاميّ: ص٦٥٣.

٩- سورة التوبة، الآية (٧١).

١٠- سورة آل عمران، الآية (١١٠).

١١- سورة آل عمران، الآية (١٠٤).

١٢- السّجستانيّ، السّنن: ٣٢٣/٢.

١٣- الترمذي، السّنن: ٣١٧/٣؛ البيهقيّ، السّنن الكبرى: ٩٣/١.

١٤- يُنظر: محمّد طي، الإمام عليّ عليه السلام ومشكلة نظام الحكم: ص١٨٦.

١٥- نهج البلاغة، الكتاب رقم (٤٥).

مناظرات أهل البصرة بالأدلة القرآنية

د. علاء حسن مردان

تعدُّ مناظراتُ القرآن الكريم من أهمّ ما تداوله المسلمونَ في القرن الأوّل من الهجرة؛ بوصفهم يملكون أعظم كتاب سماويٍّ يردُّ على أصحاب الديانات الأخرى.

وقد كان للبصريّين شأنُهم في ذلك؛ إذ نجدهم يردّون بعضَ الأقاويل بآياتٍ من القرآنِ الكريمِ، لاسيّما أمامَ وُلاة الدولة الأمويّة، وكذا أمام بعض الأشخاص الذين يدّعون أموراً لا صحّة لها؛ كمناظرة أبي العاليةِ لرجل يهوديّ؛ إذ جاء في الرواية أنَّ يهوديّاً خاصم أبا العاليةِ فقال: «إنّ موسى عليه السلام كان يصلّي إلى صخرةِ بيتِ المقدسِ، فقال أبو العالية: كان يصلّي عندَ الصخرة إلى البيت الحَرام، قال: قال: فبيني وبينَكَ مسجدُ صالح، فإنّه نحتَه من الجَبل. قال أبو العالية: قد صلّيتُ فيه وقِبلتُه إلى البيت الحرام»[1].

وهذه الرواية تميط اللثام عن ثقافة ذلك الزمن، المستندةِ على الدليل لا على الأباطيل، وهذا بحدّ ذاته يعتمدُ على همّة المفسِّر ومدى قدرته الفكريّةِ والمعرفيّةِ حتّى يثبت ادّعاءَه، ويكشفَ ضعفَ المقابل.

وهناك رواية تاريخيّة أخرى تطلعُنا على كيفيّة إثبات الحقِّ وإبطالِ المطالبِ المزيّفة؛ إذ تورد خبرَ مناظرة جرت بين يَحيى بن يَعمُر والحجّاجِ بنِ يوسف الثقفيِّ في واسط، وكان الشّعْبيُّ حاضراً تلك المناظرةَ بطلبٍ من الحجّاج؛ لأنَّه عزم في يوم - وهو عيد الأضحى - على أن يضحّيَ برجل من العراق فيذبحَه أمامَ الجميع، فرغب بذبح يحيى بن يعمُر، وما كان وجودُ الشعبيِّ الا لحصول الحجاج على شرعيّة ما يفعله؛ باعتبار أنَّ الشعبيَّ فقيهُ الدولة آنذاك. وقد حاول الشعبيُّ ان يتهرَّبَ من ذلك المجلس، لكنّ الحجّاج لم يتركه، فأعدَّ سيّافاً من سيّافيه لذلك الأمر.

وبعدما أحظروا يحيى بنَ يعمرَ إلى الحجّاج، بدأت المناظرة التي كانت عبارة عن مسألة حياة أو موت ليحيى، لنجده يهزم الحجّاجَ أمام الجميع بالقرآن الكريم؛ إذ جاء في الرواية أنَّ الحجاج قال له: أنتَ تزعم أنَّكَ زعيمُ العراق؟ قال يحيى: الزَّعمُ كذبٌ، ولكنّي أقولُ: إنّي فقيهٌ من فقهاء أهل العراق. قال: فمن آيِ فقهكِ زعمُك الحسن والحسين من ذرّيّة رسول الله؟! قال: ما أنا زاعمٌ لذلك، بل أنا قائله بحقٍّ. قال: وبأيِّ حقٍّ قلتَ ذلك؟ قال: بكتاب الله عزَّ وجلَّ، فنظر إليَّ الحجّاجُ، فقال: إسمع ما يقولُ؛ فإنَّ هذا ممّا لم يكن سمعتُه عنه، أتعرف أنتَ في كتاب الله عزّ وجلّ دليلاً بأنَّ الحسنَ والحسينَ من ذرّيّة محمّ؟! فجعلتُ أفكّر في ذلك فلم أجد في القرآن شيئا يدلُّ على ذلك، وفكَّرَ الحجّاج مليّاً، ثمّ قال ليحيى: لعلَّكَ تريد قولَ الله: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[2]. وأن رسول الله ' خرجَ للمباهلة ومعه عليٌّ وفاطمةُ والحسنُ والحسينُ. وكان الحجّاجُ حافظاً للقرآن، فقال له يحيى: والله إنّها الحجّة في ذلك البالغة، ولكنّي ليس منها أحتجُّ لما قلتُ. فاصفرَّ وجه الحجّاج، فأطرق مليّاً، ثمَّ رفعَ رأسَه إلى يحيى، وقال له: إن جئتَ من كتاب الله عزّ وجلّ بغيرها، فلك عشرةُ آلاف درهم، وإنْ لم تأتِ بها، فأنا في حلٍّ من دمك. قال: نعم، فقال يحيى للحجّاج:



قولُ الله عزّ وجلّ ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَـنَ﴾ مَن عنى بذلك؟ قال الحجّاج: إبراهيمَ. قال يحيى: فداودُ وسليمانُ من ذرّيته؟ قال الحجاج: نعم. قال يحيى: ومن نصَّ اللهُ عزّ وجلّ عليه بعد هذا أنّه من ذريّته؟ فقرأ الحجاج. ﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَـرُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمحْسِنِينَ﴾، قال يحيى: ومن؟ فقرأ الحجاج: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى﴾[٣]. قال يحيى: ومن أينَ كانَ عيسى من ذريّة إبراهيمَ ولا أبَ له من صلبه؟ قال: من قِبَل أمّه. قال يحيى: فمَن أقربُ رَحِماً مريمُ مِن إبراهيمَ أم فاطمةُ من محمّد؟ أمُّ الحسن والحسين منهُ أم عيسى مِن إبراهيم؟ قال الشعبيُّ: فكأنّما لَقَمَه حجراً. فقال: أطلقوهُ، قبَّحَه اللهُ وادفعوا إليه عشرةَ آلاف درهم لا بارك الله له فيها»[٤].

وكما ترى، فإن ما تقدم في هذه الرواية يعني أنَّ القرّاءَ قد استخدموا لغةَ القرآن لمناظرة الحجّاج ومحاجَجَته، ودقّقوا في تفسيرها، ورسموا صورتَها الواضحةَ؛ حتّى يقتنع الحجّاجُ وأمثالُه بصحّة ما يقولونَ، وإلّا، سوف يلوح السيفُ رأسَ كلِّ من يفشل في مناظرته.

وجرت مناظرةٌ أخرى بين الحَسن البصريِّ والحجّاج في البصرة، وكان الأخيرُ يشتمُ عليّاً وينتقصُ من شأنه، فردَّ عليه البصريُّ بقوله تعالى: ﴿مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[٥].فعليٌّ ممّن هدى اللهُ ومِن أهل الإيمان، وعليٌّ ابنُ عمّ رسول الله، وخِتنُه على ابنتِه أحبُّ الناس إليه، وصاحبُ سوابقَ مباركاتٍ سبقت له من الله، لا تستطيعُ أنت ردَّها ولا أحد من الناس أن يحظرها عليه[٦].

والمتتبّع لمناظرات المسلمين في تلك المدّة الأولى من عصر الدولة الإسلاميّة، يجدُها متأثّرةً بفكر أئمّة أهل بيت النبيّ (صلوات الله عليهم)؛ فقد كانوا يستخدمون على الدوام هذه الصيغةَ التي استخدمها كلٌّ من يحيى بن يعمر والحسنِ البصريّ، والذي يفيدنا في هذا المجال، هو أنّ هؤلاء المفسّرين قد التقوا بالإمام الباقرِ عليه السلام، الذي أبطل بعضَ حججهم في فهم القرآن وتفسيره، ممّا يعني أنّهم اغترفوا من مدرسة هذا الإمام الهمام في التفسير[٧]، وهذه المدرسة كان مركزُها المدينةَ المنوّرةَ ومكّةَ المكرّمة أيّام الحجّ، فيكون أهلُ البصرة قد تحرّروا في تفاسيرهم من مدرسة ابن مسعود التي اعتمدت على الرأي.

الهوامش

١- الطبريّ، جامع البيان ٤٨/٢.

٢- سورة آل عمران، الآية (٦١).

٣- سورة الأنعام، الآية (٨٥).

٤- القاضي النعمان، شرح الأخبار ٣ /٩٢ – ٩٥؛ وقد جاء الخبر في رواية أخرى عن عاصم بن أبي النجود فيها اختلاف قليل. ابن خلكان، وفيّات الأعيان ٦ /١٧٣ – ١٧٦.

٥- سورة البقرة، الآية (١٤٣).

٦- الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل ١ /١٢١.

٧- ينظر: أبو حمزة الثمالي، تفسير أبي حمزة الثمالي، ص ٢٥٢؛ الكليني، الكافي٦/٢٥٦ ؛ القطب الراوندي، فقه القرآن ٢٨٦/٢.

أبو زَيد السّروجيُّ
بطلُ مقامات الحريريّ

شخصيّةٌ أدبيَّةٌ رائعَةٌ، خلقهَا صَاحبُها خَلْقا، تَمثَّلت فيها وقَائِعُ عَصْرٍ نَكِدٍ، تبَاينت فيه الأهواء، وكسَدَت بضاعةُ الأدباء.

بقلم: الدكتور مصطفى الصاوي الجوينيّ

إعداد: ياسين اليوسف

نُشر هذا المقال في مجلّة (العربيّ)، العدد التاسع والستّون، أغسطس١٩٦٤: ليسلّط الأضواءَ على واقعٍ مريرٍ يعيشه مجتمعٌ يبتني على إيجاد المبرّرات اللا مشروعة، والتملّق للحكّام والسَّلاطين على حساب المبادئ والقيم، متّخذاً من شخصيّة (السروجيّ)، التي أنتجها عصرٌ تباينت فيه الأهواء أنموذجاً لذلك، وهو بقلم الدكتور مصطفى الصّاويّ الجوينيّ، وهو مؤلّفٌ مصريٌّ وأستاذٌ سابقٌ في كليّة الآداب في جامعة الإسكندريّة، وكذا أستاذ الدراسات الإسلاميّة والنقديّة بكليّة البنات عَين شَمس، قدَّمَ عدَّةَ دراسات أدبيّة، وألَّف العديدَ من الكتب.

نص المقال:

يُعدُّ أبو زيد السروجيُّ من أمتع شخصيّات الأدب العربيّ، وأملئِها حيويّة، وأفصحِها نطقاً عن عصرها.

شخصيَّةٌ اختلفت فيها الآراء، ولقد يختلف الرأيُ فيها، فيكون من الآراء ما يعزى إلى الحريريّ منشئ المقامات أنّه قال: إنّ أبا زيد شيخٌ شحّاذٌ بليغٌ، وردَ البصرةَ سائلاً، فأُعجب الناسُ بفصاحته وبلاغته، وأخذَ كلٌّ يقصُّ طرفاً من حِيَلِه في البلاد، ومن فصاحته بكل ناد، ومن رأيٍ يقول: إنّه ليس إلّا المطهَّرُ بنُ سلّار، النحويُّ البليغُ، صاحبُ أبي القاسم الحريريّ، ومن رأى يقول: بل هو شخصٌ متخيَّلٌ تخيُّلا، ومبتدعٌ ابتداعا.

شخصيّةٌ لها واقعٌ حَيٌّ

والذي نراه في هذا أنّها شخصيّةٌ لها واقعٌ اجتماعيٌّ حيٌّ، شخصيَّةٌ أَخَذَت بثقافة عصرها الدينيّة والأدبيّة، فتثقّفت بالقرآن والحديث والأدب واللغة، وشُغلت بها:

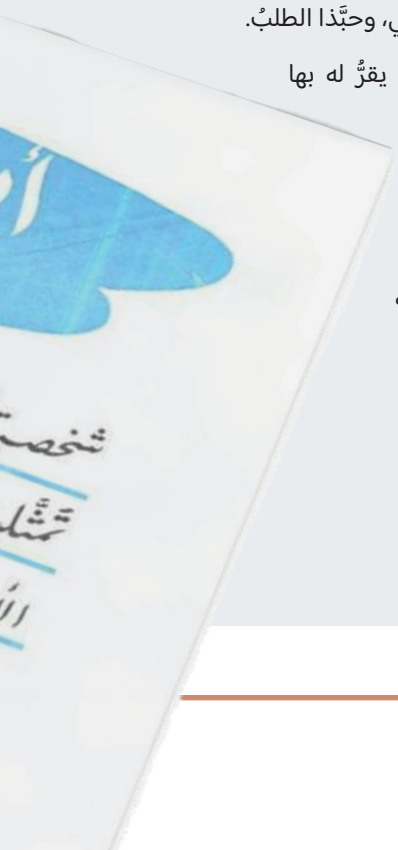
شُغْلِيَ الدرْسُ، والتبحُّر في العلـم طِلابي، وحبَّذا الطلبُ.

ووُهب مع هذا ملكةً بيانيّةً قديرةً، يقرُّ له بها الناس جميعاً:

ورأسُ مالي سِحرُ الكلام الذى
منه يُصاغ القريض والخُطَبُ

ثمّ هو إلى هذا ذو صلاحيّة اجتماعيّة توائِم مع كلّ مجتمعٍ يغشاه:

وعاشرتُ كلَّ جليس بما
يلائمه لأَروقَ الجَليسا
فعند الرُّواة أُدير الكلا



مَ وبينَ السُّقاة أُدير الكؤوسا

وطَوْرا بِوعْظي أُسيل الدموع

وطَورا بلهْوي أَسُرُّ النفوسا

كلُّ أرض له وَطَن

ويلُفُّ أبو زيد السروجيُّ بديار الإسلام كلّها، يُطوِّف باليمن والعراق ومصر وفارس والشام والحجاز والمغرب، ويكتسب توحُّدَ العاطفة الاسلاميّة، فنراه يعتبر ما حقَّق له من بلاد الإسلام آماله وطنا له:

وَجُبِ البلادَ فأيُّها

أرضاكَ فاختزْهُ وَطَنْ

ودع التذكُّر للمَعا

هد والحَنين إلى السَّكَنْ

واعلم بأنَّ الحُرَّ في

أوطانِه يَلْقَى الغَبَن

كالدرّ في الأصداف يُسـ

ـتزرى ويُبخسَ في الثَّمن

لكنّه مع هذه العاطفة الشاملة الرَّحبة لا ينسى مَرَاح صِباه (سُروج) حتّى وإن لقيَ السعادة في غيره:

كلُّ شعبٍ لِيَ شَعْبٌ

وبه رَبْعِيَ رَحْبْ

غيرَ أنّي بسُروجٍ

مُستهامُ القلب صَبّ

هيَ أرضي البِكْرُ والجوُّ

الذى منه المَهَبّ

وإلى روضتها الغَنَّا



عِ دون الروض أصبو
ما حَلا لي بعدَها حُلْـ
ـوٌ ولا اعذَوْذَبَ عَذْبُ

وهو بهذا منطقيٌّ في حرصه على الانتماء إلى موطنه الصغير...

المالُ أصلُ المُشكلات

وبيَّنتْ هذه الشخصيةُ المثقَّفةُ الحساسةُ، بالحيل التي تحيَّلت، بيَّنتْ أنَّ المشكلات الاجتماعيّة أساسُها اقتصاديٌّ، فالمالُ وراءَ مشكلات الأسرة بخاصّة:

يتشاجرُ أبو زيد وزوجته، ويتسابَّان أمام القاضي؛ لفقرهما...

ويَمْثُلُ أبو زيد أمامَ القاضي مدَّعياً أنَّ ابنَه عقَّه لفقره...

وتشكو امرأةُ أبي زيد الشابّةُ هجرَ زوجها الشيخِ لها، وأنّه لا يعاشرُها خوفَ النّسل وهو المُعدِمُ الفقيرُ...

ويبتدعُ أبو زيد قصّةَ التقائِه بابنٍ له كان قد ترك أمَّه وهي حاملٌ فيه لفقره...

ويتخاصمُ أبو زيد وامرأته أمامَ القاضي وقد ألْجَأه الفقرُ لبيع جهازها...

وهكذا، نرى شخصيَّةَ أبي زيدٍ في مجتمع شعاره (المرء بنَشَبِه لا بنَسَبِه)، تتّخذُ المالَ إليها معبودا:

وحقِّ مولىً أبدعتْهُ فِطرتُهْ
لو لا التُّقَى لقُلْتُ جَلَّت قُدرتهْ

ولذلك، فهو عليه حريصٌ، وبه ضَنين:

وَشَرُّ ما فيه من الخَلائق
أنْ ليس يُغْنى عنكَ في المَضايَق
إلّا اذا فَرَّ فِرارَ الآبِق

شخصيّةٌ رأت سوقَ العِلمِ كاسِدة

ولم يُتَح لهذه الشخصيّة المثقّفة أن تترجم ثقافتَها إلى سلوكٍ سَوِيٍّ؛ فقد طالت عليها شِقّةُ تحصيلِ العلمِ، ورأت بَوَار سوقِه وسوقِ غيرِه من المعايِش، فآثرَت كسبَ المال المعبود من أيسرِ طريقٍ، وسلاحُها علمُها.. رأت الرُّطَبَ لا يباعُ بالخُطَب، ولا البَلَح بالمُلَح، ولا الثَّمَرَ بالسَّمَر، ولا المصائدَ بالقَصائد، ولا الشَّرائدَ بالفرائِد، ولا الدّقيقَ بالمعنى الدَّقيق.. والحاصلُ: أنَّ الأدبَ قد بارَ، وولَّتْ أنصارُه الأَدبارَ، وأنَّ الأَسجاعَ لا تُشبع من جاع.

ورأتِ التعليم صناعةً بائرة

ورأت التعليمَ، ولو أنَّه أشرفُ صناعةٍ، وأربحُ بضاعة، وَربُّه ذو إمْرةٍ مُطاعَة، وهيبةٍ مُشاعةٍ، إلّا أنَّ صاحبَه يَخْرِف في أمَدٍ يَسير، ويتَّسم بحُمْقٍ شهير.

ثمَّ أدركت أنَّ التعلُّلَ بمنصبٍ أو ولايةٍ أضغاثُ أحلام، وأنَّ التجارةَ عُرضةٌ للمخاطرات، وطعمة للغارات... وأنَّ اتّخاذَ الضِّياع واصطناعَ الازْدِراعِ مَنْهَكةٌ للأعراض، وقيودٌ عائقةٌ عن الارتكاض... والصناعةَ غيرُ نافقة في جميع الأوقات، ومعظمها معصوبٌ بشبيبة الحياة.

وإذنْ، فليس غير الشِّحاذة سبيلاً ميسوراً.

وإذنْ، فليس إلّا الشحاذةُ والاستجداءُ؛ ففيهما أكثرُ من لذّة؛ راحةٌ بلا تَعَب، وخِداعُ أصحابِ الثروةِ، وجمعٌ يفوق جمعَ كلِّ صاحبِ مِهنة، أهلُها أعزُّ قبيل، وأسعدُ جيل... طُعْمُهُم مُعجّلةٌ.. لا يتّخذون أوطاناً، ولا يتّقون سلطانا.

وفي هذا السبيل يصبحُ من سِمات هذه الشخصيّة الخِداعُ والمخادَعة، وعلى هذا المستوى هي إيجابيّةٌ بالقياس إلى فرديّتها، تجدُ تبريراً لسلوكها المخادع من واقع مَعيشتها:

غيرَ أنّي ابنُ حاجةٍ
هاضَهُ الدهرُ فاهتَضمْ
وأبو صِبيةٍ بدَوْا
مِثْلَ لحمٍ على وَضَمْ

وأخو العَيْلة المُعيـ

ـلُ إذا احتال لم يُلَم

ومن واقع مجتمعها، مجتمعِ الغابة، حيثُ صراع الفرد على الفوز بكلّ الغنائم وحده، فمأكولٌ أنت إن لم تبادئ بالافتراس:

عِشْ بالخِداع فأنتَ في دهرٍ بنوهُ كأُسْد بِيشَهْ

وأَدِرْ قناةَ المكر حتَّى تستديرَ رَحَى المعيشهْ

وصِدِ النسورَ فإنْ تعذَّر صيدُها فاقنعْ بريشهْ

وجعلتْ من الأثرياء الأشحّاءِ ضحاياها.

وهي وإن كانت خادعةً مخادعةً للناس جميعاً، فإنَّ لذّتها كلَّها في خِداعها للاشحّاء والأثرياء من القضاة والحكّام؛ فهم أساسُ مقصدها، ومنهم غالبيّة ضحاياها:

وَبَلَوْتُهم فوجدتُهمْ لَمّا سَبَكْتُهُمُ زُيُوفْ

ما فيهمُ إلا مُخَيْسِفُ أنْ تمكَّنَ أو مَخُوفْ

فَوَثبْتُ فيهم وثبةَ الذئب الضَرِيِّ على الخَروفْ

وتركتُهم صرعَى كأنَّهمُ سُقُوا كأسَ الحُتوفْ

وتحكّمتْ فيما اقتَنَوه يدى وهُمْ رُغْمُ الأنوفْ

ثمَّ انثنيتُ بمغنَمٍ حُلوِ المَجانِي والقُطوف

وَلَطالما خلَّفتُ مَكْلومَ الحَشا خَلفى يَطوف

وَوَتَرْتُ أرباب الأرائِك والدرانِكِ والسُّجوف

شخصيّةٌ على إيجابيّتها سلبيّة

ولكنَّ هذه الشخصيّةَ على إيجابيّتها فيما يتّصل بفرديّتها، سلبيّةٌ بالقياس إلى مشكلات مجتمعها؛ فهي تحتازُ المالَ لنفسها، وتخدِّرُ أدواءَ المجتمع بالعِظةِ والنصيحةِ حيناً. يُعالجُ مشكلة الرِّقّ والتعاويذِ بنصيحةٍ يَعلم أنَّها لن تجدَ سميعا:

واحترسْ من مُخادع لك يُرقيـ

ـكَ ليُلْقيك في العَذاب المَهين

وَلَعمرى لقد نصحتُ ولكنْ

كم نَصيحٌ مُشبَّهٍ بظَنِين

ويستغيثُ شخصٌ بأمير البلدة من ظلمه، فلا يسمع له الأمير، فيذكِّرُ أبو زيد الحاكمَ بيومِ الحساب، ويوصى المظلوم بأن ينافقَ الحاكمَ الظالمَ؛ مترقِّبا يومَ سقوطه للشمات به، وتاركاً حسابَه في سلبيّةٍ على الله.

وتعالجُ أدواءَ المجتمع بالسخرية

ثمّ هي تعالجُ أدواءَ المجتمع حيناً آخرَ بالسخرية منها والتهكُّم عليها، مغرَمةً بجمع الأبيض والأسود في وادٍ معاً. فأبو زيد إمامٌ بالنهار، حليفُ كأسٍ بالليل.. ويتزوَّجُ وهو الشيخُ فتاةً مليحةً، ثم يعفُّ عن النسل منها.. ويحاجُّ لائِمَه في بيعه ابنه لقاءَ دراهم بأن:

قد باعتْ الأسباطُ قبلي يوسُفاً وَهُمُ هُمُ

ويعرض صورةَ المعلِّمين تنمو بهم عقولُ الدارسين، ويَخْرفون هم.

وإذا كان الناسُ يُخدعون بالمَظهر عن المَخبَر، فيعظّمون الجاهلَ لصقالِ ملبسِه ورونقِ رَقْشِه، ويهينون المهذَّبَ لدروس بِزَّته ورِثَّةِ فَرشِه، يستحيلُ أبو زيد شخصيّةً حربائيّةً متلوّنةً في هذا المجتمع المظهريِّ، فتراه مرّةً يتأنّثُ متزيّياً بزَيّ امرأةٍ تصطحب عِيالا.. أو يلبس زَيَّ رجل الدين... أو يعمل خَفيراً لجماعةٍ مسافرين يخفرُهُم بالدّعوات الصالحات... أو يتعامى في يوم عيد ويصحبُ عَجوزاً ومعهما رِقاعٌ يستجديان... أو يظهر بمظهر المريض الفقير ذي الأسمال...

ولو سلكتُ سبيلاً

مألوفةً طول عُمرى

لخابَ قِدحِى وقِدْحى

ودام عُسرى وخُسرى

وممّا مكّن لهذه الشخصيّة أن تخادعَ وتتلوّنَ، طِبُّها بالنفس الإنسانيّة، حتّى لتغزو النفوس من مواطنَ تنقاد لها..

يرى أثرياءَ عصره ومنهم بعضُ الحكّام يعبثون بالغِلمان، فيصحبُ إلى الوالي ابنَه الوضئ في الواقع مدّعياً أنّه الفتى الذي قَتل ابناً له موهوبا ليستلب لبَّ الوالي ومالَه...

ويقتنصُ ساعاتٍ تجودُ بها النفسُ الشحيحةُ، فيقفُ على جنازةٍ واعظاً، ثمّ يستجدي باسم الدين... ويشهرُ سلاح الهَجْو في وجه الحكّام، فينقِدونَه المالَ رَهبةً... أو يضيع فيهم المدحَ، فيعطونه رغبة.

شخصيّةٌ هي ابنةُ ساعتها

ومضت هذه الشخصيّة، التي حَصَرت اهتمامَها في عالمها الصغير فحسب، إلى أن خلصت بنتيجة:

هل الأمر أن يأخذ أبو زيد من الناس ويعطيهم، أم يعطى الناس وإن منعوه؟ أيعاملُهم كما يحبُّ هو أن يعاملوه، أم يعاملهم بمقدار ما عاملوه به؟.. إنّها شخصيّةٌ أنانيّةٌ دستورها أخذٌ وعطاءٌ (شيلْنى أشيِّلك). قولٌ بقول، وفعلٌ بفعلٍ ((نتوازن في المَقال وَزن المِثقال، ونتحاذى في الفِعال حَذْوَ النِّعال؛ حتّى نأمنَ التغابُنَ، ونُكفَى التضاغُن))... ولا يمنع قَرْضُه لك بالأمس أن يلاطفَك اليوم؛ فهو ابنُ ساعته، ابنُ مصلَحَته:

إنْ يَكُنْ ساعَكَ أمسى
فَلَقدْ سرَّكَ يومى
فاغتفرْ ذاكَ لهذا
واطَّرِحْ شُكرى ولومى

شخصيَّةٌ أنتَجَها عصرٌ تباينت فيه الأهواء

... وبعدُ، فما موضعُ هذه الشخصيّة من إطارها الاجتماعيّ؟... هي بنتُ عصرٍ كان العالمُ الاسلاميُّ فيه تتنازعُه قوى متباينةٌ: خلافةٌ عباسيّةٌ في العراق، وفاطميّةٌ في مِصر، وأمويّةٌ في الأندلس، وسلطانٌ للسلاجقة يمسكُ بمقاليد الحكم في العراق وفارسَ، والكلُّ يتوحّدون تحتَ راية إسلاميّة واحدة، إلّا أنَّ بأسَهم بينَهم شديد، تراهم إيجابيّين في الصراع على السلطة والاستئثار بالنفوذ، ولكن، حين تنزل بالمسلمين فادحةٌ عامّةٌ كحرب الصليبيّين، ترى العباسيّين يتفرَّجون في سلبيّة، بينما السلاجقةُ والفاطميّون مشغولون بالصراع الداخليّ أو المحلّي. ومع أنَّ الخلافات باسم الدين تتمحَّك وتحكّم، إلّا أنّها تقتلُ وتظلمُ، وتقارفُ كلَّ مُنكَر، مخادعةً بالمظهر، بالخلافة، وترى الفكرَ يحتضرُ، فينحصرُ كلُّه في إرضاء سلطانٍ أو إخمادِ غريمٍ؛ طمعا في المال، ويصبحُ الأدبُ زينةً وزيفاً، يدورُ أغلبُه على مدحٍ كاذبٍ، ونفاقٍ ذليلٍ، في مجتمعٍ فَقَدَ توازنَه الاجتماعيَّ، ولم يجد الأديبُ أو العالمُ قوتَ يومه إلّا إذا وَصَلَ أسبابَه بذي سلطان.

وهكذا، ينبتُ من هذه البيئة الشخصيَّة الأنانيّةُ التي تحطِّم غيرَها لتبنيَ نفسَها.



كاظم الخليفة (١٩٣٣ - ١٩٨٢م)، وتاريخه الأدبي

إعداد: محمد صالح عبد الرضا

كم أشعر في عنقي من دينٍ نحو هذا الرّجل الذي كثيراً ما نهلت من علمه وأدبه، وتعلّمتُ دروساً أسهمتْ في تكويني الأدبيّ والصُّحفيّ، من خلال لقاءات طويلة في منزله في محلّة (يحيى زكريّا)، أو في مقهى المحكمة أيّام السّبعينيّات. كنّا ثلّة من الأصدقاء ممّن يكبرنا سنّاً: (عبد الرّضا ملّا حسن، إحسان وفيق السّامرّائي، عبد الرّزاق حسين)، أو ممن يقاربوننا في العمر: (حسين عبد اللّطيف، شاكر العاشور، صباح الرّبيعيّ، وأنا)، نلتقيه لقاءات حميمة ذات خصوصيّة قريبة من نفسه.

حين يتحدَّث إليكَ ينتقل بك من معجم اللُّغة القديمة إلى الفصيح على ألسنة العامّة، ومن أمرئ القيس إلى السَّيّاب، ومن شكسبير إلى إليوت، ومن بلاغة القرآن إلى فنّ القول المعاصر، فهو موسوعة أدبيّة ولغويّة، تاريخيّة وإسلاميّة، بحيث صحّ ما أطلق عليه الصّديق الشّاعر (كاظم الحجّاج) حين وصفه بأنّه (جاحظ البصرة الثاني)، بين دخان سجائره التي أدمن عليه وطرائفه التي لا تنتهي، حيث يسترسل في مرويّات تراثيّة، يبوح بنشاط فكريّ مضموم، وكان شغوفاً بالكتب التّراثيّة القديمة، يسرح بأقاليمها، وينتقي من كنوزها دراً لامعة، ينفض عنها غبار الزّمن، فهو عاشق مخلص للكلمة وتراثها الجماليّ، في طقوسٍ صامتةٍ بعيداً عن الأضواء.

وُلِد وترعرع في محلّة (الخليليّة)، وتخرّج في قسم اللّغة العربيّة بدار المعلّمين العالية بتفوّق، وصار -وقت ذاك- محلَّ إعجاب أساتذته: (مصطفى جواد، محمّد مهدي البصير، جميل سعيد، علي جواد طاهر)، وقام بعد تخرّجه بتدريس اللّغة العربيّة في إعداديّة العشّار ومعهد المعلّمين ومدارس أُخَر، آخرها متوسّطة التقدّم، وقدْ تخرّج على

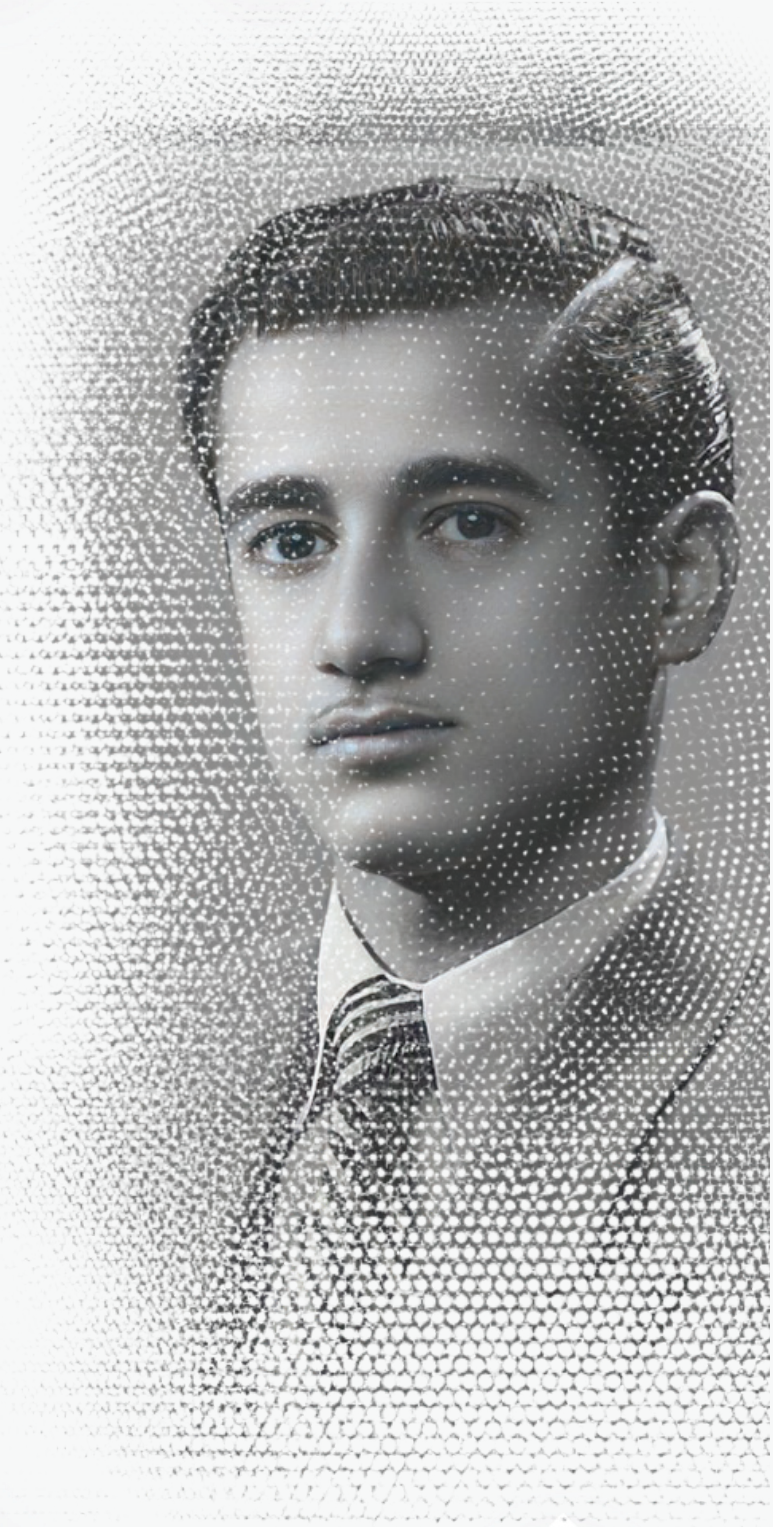
يده الكثير من أبناء مدينة البصرة، حائزين على إعجابهم بشخصيّته وعلمه وخُلقه، لكنَّ المرض أعياه في سنواته الأخيرة، حتّى صار لا يقوى على التدريس، وبحكم ابتعاده عن الأضواء نشر قليلاً من نتاجه في جريدة الثّغر، ومجلّة المعلّم الجديد، وجريدة الخليج العربيّ، وجريدة المرفأ، وقدَّم بعض الحلقات من برنامج (فوانيس رمضان) من على شاشة تلفزيون البصرة في السَّبعينيّات، وقدْ توزَّع اهتمامه بين القصّة والدّراسة الأدبيّة والمقالة النقديّة، وجميع نتاجاته مخطوطة بالقلم الرّصاص، لا أظنُّ الرّطوبة لم تأتِ عليها، أو الفئران لم تقضم أوراقها، فقدْ تركها وراءه منذ وفاته في شباط (١٩٨٠م)، في مكتبته البيتيّة المغلقة في منزله لحدِّ اليوم، وكم حاولنا أنْ نُخرج هذا النّتاج إلى النّور لكنّ جهودنا باءت بالفشل؛ لذهاب زوجته وأولاده إلى أقربائهم في المملكة العربيّة السّعوديّة، وأغلقت أبواب مكتبته أمانةً عند أُناس أُجِّر لهم المنزل عدا غرفة المكتبة المغلقة.

مِن مؤلَّفاته المخطوطة، كتاب نثري بعنوان (خطوط ودوائر) يقع في ثلاثة أجزاء، وقام بتحقيق مخطوطة فريدة للخليل بن أحمد الفراهيديّ وعنوانها: (جمل الآت الإعراب)، وترجم قصائد من الشِّعر العالميّ عن الإنكليزيّة التي كان يُتقنها جيِّداً، وأعدَّ مقابلة طويلة في ثلاثين سؤالاً مع الشّاعر الرّاحل)بدر شاكر السَّيَّاب)، وكتب عدّة مقالات، منها(: فاليري ومشكلة الفنّ)، و(لو ملكتم بساط الرّيح)، و(دراسات في الشِّعر الرَّديء)، وكتب عدداً من القصص القصيرة. وتشاء مشيئة الله الحميدة أنْ يكونَ ولداه (حسن وحسين) شاعرين أصدرا قبل سنوات قلائل في بيروت ديواناً شعريّاً مشتركاً بعنوان: (لسانا وشفتين)، وكتب (حسين) رسالة للماجستير في اللّغة العربيّة وآدابها، ويبقى الحديث المختصر لا يفي الأديب البصريّ الرّاحل (كاظم خليفة) حقَّه، ذلك أنّ شريط الذِّكريات عنه طويل، وحافل بكلِّ ما يؤكِّد أنّه كان لديه نبوغاً ثراً، رحمه اللهُ برحمته، فقدْ كان إنساناً رائعاً، وأديباً متواضعاً، على الرُّغم من فرادة كنزه الأدبيّ واللّغويّ الزّاخر.

وبين أوراقي حوار كنتُ قدْ أجريتُه معه عام (١٩٧٧)م، وهذه بعض فقراته:

- إلى أيّ شيءٍ تطمح الأسلوبيّة كمنهج لاحق للبحث البلاغيّ؟

طموح الأسلوبيّة، اليوم أنْ تكون فرعاً في شجرة الألسنيّة



في علم اللُّغة الحديث، ينبّهنا إلى حقيقة البحث البلاغيّ ومعياريّته، وأيضاً صورهما.

إنّ الأسلوبيّة تريد اليوم أنْ يكون بحثها بالظاهرتين المتكاملتين المتساندتين في الأدب، شعره ونثره، وهما: الظاهرة الأسلوبيّة، والظاهرة اللّغويّة.. إنّها تريد على الخصوص دراسة (الأسلوب) من خلال اللّغة، وليس من خلال القواعد المعياريّة السَّماعيّة أو القياسيّة التي للبلاغة، أو سواها. والسّؤال المستجدّ اليوم إذاً هو: هل تستطيع الأسلوبيّة بوصفها علماً حديثاً للأُسلوب أنْ تقوم مقام البلاغة، أو أيضاً أنْ تلعب دورها التعليميّ، المعياريّ.

- هل تستطيع التّوفيق بين المنهجيّة العلميّة التي للبحث الغربيّ، والحديث، وبين الطابع الذوقيّ الذي للبلاغة أو النّقد؟

تمثّل اليونان (البلاغة) تمثّلاً شموليّاً، على أنَّها فنٌّ، أي: صنعة، هي الجانب النظريّ لممارسة الفنّ الخطابيّ، الذي هو أبرز أنواع النّثر عنهم وقتها، وأنّها من ثَمَّ فنّ الإقناع، وتتوجّه إلى الحاكم والنظّارة، في حين نشأت البلاغة العربيّة وترعرعتْ جنباً إلى جنبٍ مع علوم الأدب وفقه اللُّغة وعلم الكلام، وغيرها.

- من التّزيينات في البلاغة العربيّة ظاهرة (التّحسين)، فكيف فهمها النّاقد العربيّ القديم؟

عدَّ العرب (التّحسين) عاملَ حُسنٍ للّفظ، أو للمعنى، كالجناس والطباق والالتفات، وهلمَّ جرَّاً، والتي ربطوها بمقتضى الحال، ودرسوها في حدود الجملة، ولم ينتبهوا إلى أسلوبيّتها، أو صلتها بالإيجاز والأنواع الأدبيّة... في حين أنّ التحسين عند اليونان تزيينات أُسلوبيّة في عرض الأفكار، وسبك العبارة، ويُطلق عليه (التّزيين)، وهو عندهم نوعان: سهل وصعب.

(التّزيين السّهل): هو استعمال صور التّركيب، وصور الفِكر.

و(التّزيين الصّعب): هو استعمال المجازات على اختلاف أنواعها.

وقدْ اتّجهت بعض الدِّراسات النّقديّة والبلاغيّة اتجاهاً نفسيّاً، وأقامت تحليلاتها على أساس نفسيّ، مثل دراسات نقد الشِّعر، ونقد النّثر لقدامة بن جعفر، أو تحليلات البلاغيّين، ومنهم السّكّاكي للمحسّوسات والأخيلة والذّوق وسواها، إلّا إنّها لم تؤثِّر في التمثّل العامّ للبلاغة وقتها في مباحثها في البيان، والمعاني، والبديع، وإنّها -كذلك- لم تؤثِّر على الفكر البلاغيّ، الذي ظلّت تحليلاته في حدود الجملة، إسنادها أو معانيها.

- وكيف تفهم الصّور البلاغيّة بفعل اهتمامك بالنشاط البلاغيّ؟

الصّور البلاغيّة -ويقال لها أيضاً: صور الأسلوب- تراكيب في القول، طرائق في الكلام أكثر حيويّة من الكلام العادي، وغايتها إبراز الفكرة بشكل حسّيٍّ، وهي -بما فيها من دقّة وأصالة وجمال- تُساعد على لفت انتباه القارئ أو السّامع إلى مضمون الخطاب الأدبيّ...، فهي تجعل الأفكار أكثر رونقاً، وأكثر تأثيراً.

وهذه الصّور عديدة ومتنوّعة على مستويات شتّى للظاهرة الأسلوبيّة، بوصفها ظاهرةً لغويّةً أدبيّةً، أي: مستويات الصّوت والنّطق، والبناء والتّركيب، والنّقل المجازيّ، والتعبيرات المنمّقة، والتّجربة فكرها ووجدانها.

وما هو تصوّرك لفنّيّة الرّمز؟

الرّمزيّون يفسّرون أدبهم الرّمزيّ، بأنّه تعبير عمّا لا يمكن التعبير عنه، وهو السِّرّيّ الذي نرمّزه بوساطة الصّور الحسّيّة المبطّنة بالمعنويّ، أي: الرموز، وهم يبرّرون ذلك بأنَّ تجربتهم تجربة خلجات رهيفة، هاربة، وأغوار لا شعوريّة غير معروفة، وأنّها تارة ذوبان كونيّ مع العالم الخارجيّ، وتارة تعاطف وجدانيّ مع الموضوعات.

وأبرز دعاواهم في ذلك (المراسلة) التي بين العالم الداخليّ والعالم الخارجيّ، وإنّها مثل وشوشة الإلهام، ليس لها غير مسوّغاتها سبيلاً إلى التّعبير...؛ ولذلك هم يستعملونَ المحسوسات عن العالم الخارجيّ ليحمّلوها حركة هذه المراسلات، التي هي نوع من الحديث السِّرّيّ ليترحّم التعاطف الرّمزيّ الذي للذّوبان الكونيّ على العموم، وعلى هذا النّحو تتوافر للرَّمز بطانته المعنويّة، ويظهر بمظهر إيحائيّ.

- في العمل الأدبيّ ثمّة مرجعيّات متعدِّدة، كيف تَفهم المرجعيّة في النصّ الأدبيّ؟

إنّ المرجعيّة اليوم أهمّ مؤشِّرات المعاني، منطقيّتها وفنّيّتها، إنّها تكشف عن مستندات الدّلالة، أي: ما تُحيل عليه الكلمات من العالم الداخليّ للأديب، أو العالم الخارجيّ له -أي: ظروف تجربته الحياتيّة -، وعلى ذلك تكون الإعارة على

نوعين: إعارة متشابه، وتنقسم إلى عاديّة ورمزيّة. وإعارة عرضيّة، وتنقسم إلى فاعليّة وسببيّة وكلّيّة، وغيرها، تقوم على علاقة ضروريّة وثابتة في واقع الحياة، ويمكن من ثمَّ أنْ تبيّن مالها من قوّة مشهديّة عاديّة ورمزيّة.

- من أين ينطلق التحليل الأسلوبيّ في العمل الأدبيّ؟

ينطلق (التحليل الأسلوبيّ) اليوم من العمليّات المتعلّقة باللُّغة على شتى مستويات القول الفنّي، أي: الصّوت، والدّلالة، والتّركيب، والإعراب، والمرجعيّة الشّعريّة، والإبداع الفنّيّ، فهو في الأساس تحليل لغويّ، علميّ وفنّيّ.. ولذلك حرصت على الصّور البلاغيّة، وخاصّة صور التّراكيب العربيّة التي تعود إلى معاني النّحو، التي سمَّيتُها الصّورة اللّغويّة، توكيداً لبلاغتها، ومن ثَمَّ أُسلوبيّتها.

- وما هو فعل الألفاظ واختيارها في النَّصّ الأدبيّ؟

إنّ الأديب حين يبدأ عمله عن موضوع، يفكّر في كلماته وجمله، وعندما يكتب يختار كلماته بصورة شعوريّة، ولا شعوريّة. الأدباء مختلفون في اختيارهم ألفاظهم أو تأنّقهم فيها.. وإنّ أساليبهم تختلف فيما بينها، في قصدهم الوضوح، والإتقان، المنطق، والدّقّة، وهي مُثُل عليا يرمون إليها.. والجلال في الشّعر يحتاج إلى الكلمات القصيرة، في حين يمكن في الأسلوب الفخم، وبخاصّة في النّثر، استعمال الكلمات الطويلة، ثمَّ يمكن البعث فيما يمكن إذا كانت الكلمات غريبة، أو ما بعضه. إنّ استعمال الكلمات المألوفة يأتي من الرَّغبة في الوضوح والإفهام السّريع، وذلك في نظره مَثَل أعلى للأدب، هو مِن أعظم المُثُل فيهِ، وأنبلها.

- وكيف تَفهم الجمال والقبح؟

بفعل التطوّر المستمرّ للّغة، كثير من الكلمات العامّيّة تصبح بمرور الزّمن كلمات جديرة بالاستعمال الأدبيّ في الأساليب الأدبيّة المختلفة، وليس هناك قاعدة علميّة تكون أساساً في مثل هذه المسائل غير مهارة الأديب ولباقته.

قدْ لا يكون للكلمات (جمال)، ولكن لها قوّة... واختيار اسماء الأعلام، من أشخاص وأمكنة، من الموضوعات التي يدلُّ فيها الشّاعر على حسن ذوقه، فهنالك أسماء أعلام لا نملك أنفسنا من الشّعور بأنّها قبيحة، وغير ملائمة للشّعر، مثل: (بوزع)، وغيرها، كما أنّ للألفاظ المفردة جمالاً وقبحاً، فهنالك في الجمل -أيضاً، وهي ألفاظ مركّبة بعضها إلى بعض- جمال وقبح، وقدْ يحدث أنْ تكون الألفاظ بمفردها جميلة، ولكن إذا ركِّبت مع غيرها في جملة، لم تكن جميلة، ويسمَّى ذلك بجمال الانسجام، وقديماً قالوا: لكلّ كلمة مع صاحبتها مقام.

- ماهي أهمُّ صفات الكتابة الجيّدة بنظرك؟

أهمّ صفات الكتابة الجيّدة شيآن متقابلان: القوّة والدِّقّة، وهما يتحاوران على الموضوعات الكبرى، من: حماسيّة، أو عاطفيّة، أو غزليّة، ثمَّ يُضاف إليها جمال الأسلوب في إشراك المعاني والعواطف، والنّظم يحتاج إلى مِران وتربية، فيجب على الأديب تعلّم (نظم الكلام) نظماً جيّداً، لينقل إلى النّاس في قوّة ودقّة ما يفكّر فيه، أو يشعر به.. وحقّاً هناك استعداد مهمّ قوي، لابدَّ له من مِرانٍ وتثقيف.

- كيف تتمّ عمليّة وضوح الأسلوب، ووضوح الفِكْرة في العمل الأدبيّ؟

- (وضوح الأسلوب) يكون بدقّته ووضوح الفكرة فيه.

أ-(وضوح الفكرة، أو الدّقّة): تكون باختيار الكلمات غير المشتركة بين المعاني، مع الاستعانة بالعناصر الشّارحة والمتمِّمة، كالنّعت، والمضاف إليه، والتّمييز، والاستثناء، والكلمات المتقابلة والمتضادّة، مع الابتعاد عن الوحشيّ والغريب.

ب- (وضوح التّركيب أو الجلاء): يبدو في صور شتّى من الرِّقّة والجزالة والسُّهولة والصُّعوبة، وذلك بحسب مطابقة الأسلوب لإدراك القارئ، وذلك يعتمد على النظام الدّقيق في تركيب العناصر، ومراعاة نظم الجمل، ومراعاة الاقتضاب والمساواة والإيجاز.

- العبقريّة في اللّغة، يقال: إنّها قدْ تأتي إلى مَن لا يعرف القراءة والكتابة قديماً، فماذا تقول أنت؟

هناك رجلٌ أعرابيّ أُمّيٌّ، لا يعرف القراءة والكتابة، كان يعيش في العصر الأمويّ، يبهر النّاس خطيباً، ويسحرهم متحدّثاً، ويشتهر بالفصاحة والبلاغة والعلم بأسرار هذه اللّغة الشّريفة في غرائب كلماتها، ومؤدّيات كتاباتها، ويُضرب به المثل، ويدخل اسمه أمثلة أصل النّحو، ويقولون عنه: إنّه «أحد بلغاء الدّهر».

هذا الأعرابيّ العظيم يعرفه التاريخ الأدبيّ باسم (ابن القرية)، ولكن اسمه كان: (أيّوب بن زيد) ينتهي نسبه الأعلى إلى عدنان، جدّ النّبيّ ﷺ، والقرية أمّه أو جدّته، وهذا أيضاً كان لقباً لها، وأمّا اسمها، فقدْ كان (جماعة بنت جسم)،

ويرتفع نسبه حتّى يصل إلى الخزرج.

- ما هي صورة المتنبّي لديك؟

هو لا يقول من الشّعر إلّا أصعب القصائد مَركباً، وأوقد المعاني مأخذاً، وأعسرها على غيره من الشّعراء، أليس هو القائل:

أُراكضُ مُعوصاتِ الشّعر قسراً
فأقتلُهَا وغيري في الطِّرادِ

- ما هو رأيك بمدرسةِ الجاحظ الأدبيّة؟

إنّ مدرسة التّحليل والتفريغ والاستقصاء وهي المدرسة الجاحظيّة، لم تستطع المدارس التالية لها أن تطغى عليها، وتكاد تغمرها ثمّ تنحسر عنها، حتّى في عصرنا الحاضر الذي ملّ السّجع وألغاز البديع، وسار فيه الأسلوب المرسل، لم تتوقّف لها موجة، تلمحها في التوازن والازدواج عند الرافعيّ والزّيّات، والتّرديد والتكرار عند طه حسين، والتحليل عند العقّاد، والفكاهة والسُّخرية عند الشّيخ عبد العزيز البشريّ.

-كيف تنظر إلى مصطلحَي (التّصحيف)، و(التّحريف)؟

التّصحيف -كما هو ظاهر- مشتقٌّ من الصّحيفة، ومعناه وقوع الخطأ في قراءتها، وأغرب ما في هذه المادّة ما ورد في القاموس: أنّ الصُّحفيّ هو مَن يخطئ في قراءة الصّحيفة، فلا يقرؤها على وجهها الصّحيح، أمّا التّحريف فمنطلق من الحرف، والتحريف الميل، ومنه القلم المحرّف الذي يقطه مَن يبرمه إلى ناحية، ويقول الشّاعر القديم في وصف حصان:

كأنَّ أذنيه إذا تشوَّفا ..... قادمةٌ أو قلماً محرّفا

وتحريف الكلام وتغييره بقراءته أو كتابته على غير وجهة، كأنّك تغيِّر منه حروفاً تتغيّر بتغيّرها.

- صرَّحتَ أكثر من مرَّةٍ بإعجابك بـ(بابلو نيرودا)، فماذا يشكِّل لديك هذا الشّاعر الكبير؟

لم يعش (بابلو نيرودا) في الضّباب، ولم يتلهَّ بالأحلام، ولم يعبث كعادة الشّعراء أو أكثرهم بخلق الكائنات والعوالم من وهمه، بل غاص في الحياة، الحياة نفسها، فهاله أنْ يصنع أقدار النّاس، بعض الناس، وأنْ يكون الإنسان، هذا المتجسّد الحيّ للحرّيّة المتطوّرة، عبداً في زمن يحطّم القيود، ولا يُطيق وطأة السّلاسل.

ولم يطل الزّمن بعد ذلك، فإذا هو الشّاعر الذي أنبته التراب الموصل في بلاده، والذي انصهر في صخورها العتيقة، كافّة، وغاباتها، وأنهارها ومتاهاتها، واتّصلت شرايينه بجذورها، إذا به ملأ سمع الدّنيا، وإذا بذلك اللّهب المتأجّج في شعره ينطلق هادراً لاغياً لينفخ بحرارة النضال سواعد الكادحين والمغلوبين في كلّ أرض.

- كما صرَّحت بإعجابك بديوان(أوراق العشب)، لـ(ولت وتمان)، فما الذي دعاك إلى هذا الإعجاب؟

إنّ ديوان (ولت وتمان) «أوراق العشب»، له صلة جذريّة بكلّ إنسان، حيثما كان، ومهما كانت مرتبته؛ لأنّه بسيط ببساطة الإنسانيّة وساذج بسذاجتها، ومع ذلك فهو عميق الغور، لا يعجم عوده، ولا يُدرك مداه بيسر وسهولة، ذلك أنّ (وتمان)، على سذاجته ولطفه وحبّه للرّكب الإنسانيّ، سامق الذّرى، رفيع الفكر، متمكِّن من لغته، ففي شخصيَّته يتجلّى النّبيّ (أشيعا)، و(شكسبير)، و(جون بنيان)، ولا شكّ في أنّ هؤلاء جميعاً كتبوا بلغة بسيطة يسيرة المأخذ، واضحة المعاني، إلا أنّهم -مع ذلك- أربكوا النقّاد والقرّاء والمتعمِّقين المثقَّفين، ولكن (وتمان) عرف قدر الشَّعب، فهو الذي يخلق الشِّعر؛ لأنّه بحاجة للغة يعبّر بها عمّا هو سام في الحياة العامّة، وعن القلب البشريّ الغريب.

-من بين موضوعات تاريخ البصرة الكثيرة، لاحظنا اهتمامك بالكتابة عن ثورة «الزّنج»، فماذا تقول؟

تمتاز ثورة الزّنج على غيرها من الثّورات التي حفل بها القرن الرابع الهجريّ بأنّها حركة تتّسم بطابع خاصٍّ، يُغاير في جوهره كثيراً من الثورات التي عرفها الإسلام، تتّسم حركة الزّنج بطابع اقتصاديّ محض، ولكنَّ المصادر العربيّة التي بين أيدينا لا تكفي لإلقاء الضّوء على هذه الحركة إلّا من جانب واحدٍ موحي بكونها حركة قام بها الزّنوج في البصرة للنّهب والسّلب والانتقام وهتك الحرائر، وغير ذلك من الحوادث التي تتبع عادة الثورات القلاقل، وإلى هنا شكّت هذه المصادر، فلا تتكلّم عن الدوافع التي أجبرت هؤلاء الزّنوج على الثّورة والانتفاضة على «ساداتهم» الذين كانوا يستغلّونهم أسوأ استغلال في تجفيف المستنقعات، وتهيئة الأراضي الزّراعيّة، وغير ذلك من الأعمال المرهقة التي يؤدّونها تحت رهقة السّياط، في حمارّة الصّيف وزمهرير الشّتاء.



ثلاث محطات مِرْبَدِيّة

(المحطّة الأولى)

عادل علي عبيد

نسفَ المِرْبدُ بمهمّته الأدبيّة المبدعةِ مَشهدَ عُكاظ، وثارَ على كلّ صور الجاهليّة بعدما سكن العربُ الأمصارَ، ليَشْخَصَ بموقعه الاستثنائيّ الذي لم يكن في قلب المدن مثلما بقيّة الاسواق، وراحت دكاكين الفكر تستقبلُ المتبضّعين الوافدين من عرب البادية، وتكسر قاعدة البيع والشراء التقليديّة، التي جُبلت عليها بقيّة الاسواق العربيّة، ليكون الشعرُ شاهداً ماثلاً يتصدّر قائمةَ البضاعة الرائجة، وعنواناً لكلّ من حمل بضاعة الأدب والنقد والمقالة والروايّة.. وسجَّلَ وجسَّد ورسَّخ حضوراً لهويّة البصرة التي تميّزت بضاعتُها عن غيرها، واشتهرَت بأنّها سلعٌ فكريّةٌ ثقافيّةٌ فلسفيّةٌ قبل غيرها من أنواع وسلع وموادّ الأسواق الأخرى، وهكذا يحطُّ الناسُ الرحالَ في هذا المِربَد - المَحبَس للإبل والمطايا - وغيرها ممّا يمتار عليه ويتزوّد به في رحلة الفكر الطويلة.

السوقُ الذي ينزوي عن البصرة بثلاثة أميال أو يزيد، يؤلّفُ مجموعةَ حلقاتٍ للتباري، وعُروض لمشاهدِ وفعّالياتِ الشعر والأدب، لاسيّما والمتبضّعون هم وجوهٌ جديدة تتوقُ الى نيل الغنيمة والرجوع، لتترك أثراً وشاهداً في هذا السوق، الذي يزخر بالقدرات والقابليّات مختلفة التوجّه، وبما يمثّل مدنَها، ويثقّف الى قبائلها، ويصدّرُ نَزعاتِ وثقافاتِ عشائرها. لكنّما محطّة عامرة مشرقة ينتظرها الجميع ستجمع هذا المحفل الكبير بعدما يلتقي روّادُ هذه السوق ويجتمعون في حَلَبةٍ واحدة لا محالةَ، بعيداً عن مباريات النقود والخُطب واللغة.. حَلَبةُ تحبسُ الكلام في الحناجر، وتلزم المفردات بالصمت.نعم، فهناك إذ تشخصُ حلبةُ الحَسم التي تجمع فحلَين لطالَما تميّز وضجّ بهما هذا المكان، وعَرَفَتهم سوحُ ومضاميرُ المبارزة والمنازلة والسِّجال.. إنّهما جرير والفرزدقُ، اللذان يضفيان على مساحة المكان أَلَقاً جديداً، وشعوراً بالفَخر والفَخار، أو الذلّ والانكسار ! ليجعلا من هذا المِربَد محجّاً وكعبةً للشعراء والأدباء، وكلّ من غلب بضاعةَ العقلِ على بِضاعة البطن.

كانت هذه المبارياتُ المبارزات المساجلات النقائض قصائد هجاء تحتمل المدح والذمّ، وهي بحقيقتها معاركُ شعريّةٌ لإثبات هويّة القبيلة التي يؤلّفُ الشعرُ أهمّ مزاياها، ناهيك أنّ كلا الشاعرين من تَميم ! ومعروفٌ أنّ هذه النقائضُ قد دامت الى أن مات الفرزدقُ سنة ١١٤ هجريّة، وأفصح جرير عن حزنٍ وأسفٍ للشاعر الندِّ الذي يساجلُ قصائدَه؛ ليثبت للملأ أنّ هذه النقائضَ لم تُفسد الودَّ بين الشاعرَين، ونعتقد أنَّ قصيدته في رثاء الفرزدق تفصح عن ذلك، وتثقّفُ على أنّ هدف الشعر بعيد يتعدّى مساحةَ الأفق ورحابةَ الأدب.

نعم، ورث المِربَدُ عكاظاً، لكنّه لم يرث قبليتَه وبدويّته وطبيعتَه القديمة ؛ فثارَ على طقوسه، ونسخَ العديدَ من برامجه، فكان التجديد شاهداً على المِربد الذي أضاف وجوهاً جديدةً، وانطلقت من أزقّته الرحبةِ أسماءٌ وعناوينُ كسرت حاجزَ ورتابةَ القديم؛ فلقاء جريرٍ والفرزدق أسّس لبداية المنبر الحرّ في التباري والتناظر، ونَشَر ثقافةَ الاختلافِ والقبولِ بالرأي والرأي الآخر، بعيدا عن التزمُت والإلغاء، إذا ما عرفنا أنّ الشاعرين من مدينة كانت تحتدم بالحَرَكات السياسيّة والفكريّة والدينيّة.

إنّها البصرة التي تميّزت بطابعها الثقافيّ الذي انتقل من دائرتها الى مدن وأصقاعٍ عربيّة معروفة، لا سيّما في ذروة عطائها الفكريّ في القرن الأوّل الهجريّ، الذي شجَّعَ على انبثاق العصبيّة القبليّة من جديد، وهو العنوان الذي حفلت به قصائدُ الشاعرَين المتناقضَين.

والمِربد اليوم هو مِربد الحبّ، وملتقى الشعراء والأدباء والكتّاب، الذين يجتمعون هنا في البصرة ليجسّدوا صميمَ ذلك الحبّ، وليعزّزوا رابطةَ الانتماء للثقافة والأدب في بصرة الإبداع والشعر والتألّق،.. إنّه الشعرُ الذي لطالما اضطلع بمعاناة الأمم، وجسَّد تطلُّعاتها لنيل السلام بعيداً عن كلّ برامج الإلغاء والتسلّط، الشعر الذي راح يخلّفُ مساحاتٍ مشرقةً في هذه الحاضرة التي تفتح أُفقاً واسعاً رَحباً لكلّ من يتطلّع الى البناء، وينشد القيمَ التي تقول: المجد للإنسان، صانعِ الحضارة والتاريخ والأمل.

جانبٌ من رحلة ديللافاليه الإيطاليّ للبصرة

د. حسين المصطفى

يُعدّ (ديللافاليه)[1] من أوائل الرّحّالة في بداية القرن السّابع عشر، كتَبَ عن البصرة عدّة صفحات، في الرّسالة العاشرة والحادية عشر من الرّحلة، تناول فيهما أموراً سياسيّةً تخصُّ الصّراع (العثمانيّ–الفارسي) في فترةٍ عصيبةٍ انعكستْ على الوضع العراقيّ، وفي رسالته العاشرة المؤرّخة في (٢٠ آيار ١٦٢٥م)، ذكَر أنّه وصل إلى مصبِّ نهر شطّ العرب في العاشر من آذار (١٦٢٥م)، وأعطى وصفاً عن طبيعة البصرة، وابتدأ بوصف تكوين شطّ العرب، من التقاء نهرَي دجلة والفرات، إلا أنّه جانَبَ الصّواب عندما ذكر: أنّ النّهر في جريانه يتفرّع إلى فرعين، الفرع الشرقيّ وهو أوسع حجماً، وأكثر أمناً، يُطلِق عليه البحّارة –على حدِّ قوله- اسم (هرمز)، والفرع الغربيّ يُسمّيه (فرع البحرين)، أو (فرع القطيف)، ولا تدخله السُّفن الكبيرة إلا نادراً، ويحدث الانقسام إلى فرعين في جنوب البصرة، فتتكوّن بينهما جزيرة مثلّثة الشكل، يُطلِق عليها الأهالي اسم (الخضر)[2]، ويبدو أنّ سفينة الرّحّالة (ديللافاليه) دخلتْ شطّ العرب، وسارتْ في جهته الشرقيّة، عندها شاهد الأراضي المحيطة بالنهر، وعَبَّر عنها بأنّها عامرةٌ بأشجار النخيل، وكثيرة الزرع. وواصلت سفينته سيرها حتّى وصولها إلى موضعٍ فيه جدولٌ عميقٌ –على حدّ قوله- تمخَر فيه القوارب المحلّيّة، وبعض السُّفن البرتغاليّة، ومراكب أُخر مختلفة، تقف عند موضع الكمرك[3]، هذا الموضع يقعُ في بداية نهر العشّار (على ضفّته الشماليّة) مقابل تمثال (السيّاب) الحالي، وبقي هذا المكان موضعاً لاستحصال الضّرائب حتّى بداية الاحتلال البريطانيّ للعراق.

لم يحدِّد (ديللافاليه) اليوم الذي وصل فيه، إلا أنّ المدّة التي تقطعها السّفينة من مصبِّ شطّ العرب إلى بداية نهر العشّار لا تستغرق أكثر من يومٍ، ومن المرجَّح أنّه وصَل في الحادي عشر من آذار.

وصفُ نهر العشّار

يمتدُّ هذا النهر إلى داخل مدينة البصرة، ويوجد جسرٌ من الخشب مثبَّتٌ على قوارب مربوطة بسلاسل حديد؛ ليكسبها مزيداً من القوّة، وتقوم إلى الشّمال من الجسر

بنايةٌ لها تصميم القلعة والحِصن، غايتها حفظ المدينة، على الرُّغم من أنّ البناء امتدّ إلى أبعد من القلعة[٤]، ولاحظ (ديللافاليه) أنّ ماء النّهر يرتفع بتأثير ظاهرة المدّ، وتصلُ بعض السُّفن من شطّ العرب إلى حدّ هذا الجسر فقط، وقدْ شاهد هناك سفن الوالي الحربيّة، وهي راسية بأمانٍ عند تلك القلعة، وبالإمكان سحبها منْ دون تجديف، وتتفرّع من ذلك النهر عدّة قنوات، تمتدُّ إلى داخل المدينة، وينتقل النّاس بالقوارب في هذه القنوات من بيتٍ إلى آخر، ويُطلقونَ على هذه القوارب اسم (دانك)[٥]، وهناك عددٌ من الجسور للمشاة فوق تلك القنوات[٦].

الاستقرارُ في البصرة

ويبدو أنّه لا توجد في داخل المدينة أماكن لإيواء المسافرين، فعند نزوله إلى البرّ بحثَ عن بيتٍ يحلُّ فيه، وكان ذلك في يوم (١٣ آذار١٦٢٥م)، ولم يحصل على ما يريد، فاضطرّ إلى الرّجوع للمركب للمبيت فيه. وفي صباح اليوم التالي واصل البحث عن بيتٍ للإيجار فلم يُفلِح، فأُرشِدَ إلى مسؤول الميناء (الشاهبندر، خواجَة نجم)، وكان يعمل في الكمرك، وهو من طائفة الصّابئة، وذكر أنّه يتمتّع بمكانةٍ اجتماعيّةٍ حسنةٍ بين النّاس، ومعرفتُه جيّدة، وقدْ شدّته به صداقة أثناء وجوده في البصرة، وقدَّم له خدمات جليلة، واستطاع بجهود زوجتِهِ الحصول على بيتٍ للسَّكَن، ولم يكن على ما يُرام، إلا أنّه وعدَهُ بترتيبه، فعاد إلى المركب ليقضي فيه ليلةً أُخرى[٧].

وعند استقراره في المسكن، التقى (ديللافاليه) بمعتمَد البرتغاليّين في البصرة، السيّد (كوفسالنو ماتينيز دي كاستيل برانكو)، وقدَّم له رسالةَ توصيةٍ من نائب ملك (غوا)[٨]، فأحسن استقباله، وأطلعَه على أخبار مهمّة عن البصرة وبلاد فارس والحُويزة، ومنها أخبار عن علاقة الحُويزة مع بلاد فارس.

والطريف في الأمر أنّ (ديللافاليه) كتب في (٢٢ آذار ١٦٢٥م)، معلوماتٍ عن بعض ما يجري قرب بيت الباشا (حوش الباشا)، ومنها تربية بعض الحيوانات غير المألوفة، ومنها حمارٌ أبيضُ اللّون، وفي ظهره خطٌّ أشقر اللّون، يبدأُ من رأسِهِ وينتهي عند ذيلِهِ، وهو سريع الجري[٩].

وصفُ البصرة

وصف (ديللافاليه) البصرة بأنّها مترامية الأطراف، عامرة بالسكّان، أمّا مركز المدينة، فهو رديء العمران، وأرضها مفتوحة؛ لأنّها غير مسوَّرة، وقدْ أُحيطتْ بسورٍ مؤخَّراً، وعزا ذلك إلى التهديدات الفارسيّة لها، وبيَّن أنَّ في السُّورِ أبراجاً من الطِّين، وقدْ شاهَدَ البعضَ منها متهدِّماً، وكان للمدينةِ أبوابٌ تُقفل، وفيها أسواقٌ متنوِّعة، منها: سوق الصّاغة، وسوق المنسوجات، وأسواق أُخَر تُباع فيها مختلف البضائع التي تروج في الأسواق[١٠]. وذكر أنّ أمام القلعة والسُّوق ساحةً واسعةً تنتشر فيها المدافع من العيار الثقيل، بعضها برتغاليّة الأصل، كان البصريّون قدْ غنموها في (مسقط) قبل عدّة سنين، عندما كانتْ سفُنُهم تمخَر عَبَاب البَحرِ، لكنّ البرتغاليّين تمكّنوا مِن تدميرها فيما بعد[١١].

وفي داخل المدينة، مقابل دار الباشا (حوش الباشا) ساحةٌ كبيرةٌ تُباعُ فيها الأغنام، والحبوب من الحنطة والشّعير والرُّز، ومختلف الخضروات، وهذه السّاحة مفتوحة في اللّيل

والنهار، والبضائع معروضة منْ دون دكاكين ولا أقفال [أي: تُباع على الأرضِ على شكلِ فُرُشٍ تُوضع عليه الحاجات]، ولا خوف عليها من السُّرّاق، فالعِقاب الذي يُنزله الأتراك باللُّصوص يكون قاسياً[١٢].

وقدْ توهَّم (ديللافاليه) أنّ حاكم البصرة تركيٌّ، وحقيقة الأمر، أنّه الأمير (علي باشا أفراسياب)[١٣] (١٦٢٣-١٦٥٠م)، من أُسرة أفراسياب.

وفي وصفِهِ السكّان وطوائفهم، بيَّن أنّ معظمَهم من العرب، وفيهم عددٌ قليلٌ من الأتراك، واللُّغة العربيّة الأكثر انتشاراً في المدينة، واللُّغتان العثمانيّة والفارسيّة مألوفتان فيها -أيضاً-.

وصفُ الواقع الدينيّ في البصرة

يذكر(ديللافاليه) أنّ أهلَ البصرة مسلمونَ، من السُّنّة والشِّيْعة، ويُعلّق على العبادات بقوله: ((النّاس أحرار في عباداتهم))، ويستدرك على الأذان بأنّه على طريقة أهل السُّنّة، وتُقام الصّلوات حسب طريقتهم؛ لأنّ البصرة خاضعة للسُّلطان العثمانيّ في إسطنبول (بشكلٍ اسميٍّ).

وفي معرض كلامه عن طائفة الصّابئة في البصرة، يُسمِّيهم (النّصارى الكِلدانيّين)، أو نصارى (القدِّيس يوحنّا)، أو الصّابئة، ولم يستطِعْ تحديد أعدادهم، ويذكر أنّه ليس لهم من النصرانيّة إلا الاسم-كما يظنُّ- لعدم وجود كنيسة لهم في البصرة، وكانوا يذهبونَ إلى بيت كاهنهم ليصلُّوا فيه، أو يُتمُّوا مراسيمهم الدّينيّة، وليس لهم طقوس تُشابه النّصارى، وذكر أنّهم يتناولونَ اللّحوم على طول الأيّام، وعمادهم يُشبِه عِماد (القدِّيس يوحنّا)، وهم يُجِلُّونه ويبالغونَ في تقديسه، ولم يستطع البتّ في نوعيّة ديانتهم، فظنَّ أنّهم مِن بقايا اليهود الذين نالوا العِماد على يد (يوحنّا)، وهم يُعرفونَ عند الأهالي باسم (الصّابئة)، ويتكلّمونَ فيما بينهم بلغة كلدانيّة محرّفة، تُسمّى (المندائيّة) إلى جانب العربيّة، ويُطلِقونَ على أنفسهم تسمية (مندائي)، بينما يُسمِّيهم الأوربيّونَ (نصارى القدِّيس يوحنّا)، وليس لهم أناجيل، ولا كتب أُخَر مقدَّسة، ماعدا كتاباً خاصّاً بهم يُسمّى (السّذرا)[١٤]، وهم يتّبعونَ أحكامه الدّينيّة، أمّا لغتُهم، فحروفها خاصّة، تختلفُ عن الكلدانيّة والسّريانيّة القدِيمة والحديثة، وبهذهِ الحروف يكتبونَ أسفارهم المقدّسة، وعامّة الصّابئة لا يعرفون هذه اللُّغة، لا كتابةً ولا تكلُّماً، ويقتصر الأمر على كهنتِهم. وتوجد المراكز السكّانية للصّابئة في البصرة، ويوجد بعضهم في (الدّورق)[١٥]، و(تستر)[١٦]، وفي منطقة (الحويزة) القريبة من البصرة يوجد أكبر تجمّع لهم هناك[١٧].

وبيّن(ديللافاليه) أنّ الطائفة الأخرى الكبيرة في المدينة، هي من المسيحيّين؛ ونظراً إلى وجود عددٍ كبيرٍ من المسيحيّين في المدينة -على حدّ قوله- فقدْ فتح الرُّهبان الكرمليّين[١٨] مبعثاً لهم فيها، وجاء مِن بعدهم الرُّهبان الأوغسطينيّونَ البرتغاليّون. ولكلٍّ رهبانيّةٍ كنيسة خاصّة بهم تُقام فيها الشّعائر الدّينيّة، حسب الطّقس الرّومانيّ. ووصفَ الرّحّالة (ديللافاليه) معبد الآباء الكرمليّين، بأنّه مشيَّدٌ بشكلٍ جميلٍ مع ديرٍ ملحقٍ به، فيه صوامعُ الرُّهبان، وغرف لعابري السّبيل، وقدْ اشتروا قسماً من الأرض بمالهم الخاصّ، والقسم الآخر وهبهم إيّاه الباشا والي البصرة (علي باشا أفراسياب).

تمَّ افتتاح كنيسة الآباء الكرمليّين في البصرة في الثالث عشر من نيسان (١٦٢٥م)، عندما أكمل الأب (باسيل فرنسيس الكرمليّ) تشييد الكنيسة والدّير الخاصّ برهبانيّته في البصرة، وأقام احتفالاً كبيراً بهذه المناسبة، وزيّن الكنيسة والدّير، وهَرَع النّصارى من أوربيّينَ وشرقيّينَ على اختلاف طوائفهم، للاشتراك بهذا الاحتفال، بافتتاح كنيسة (مريم العذراء)، (أمّ الشّفاء). وفي المساء أُشعلتْ الأنوار في المكان، وأُوقدتْ النّار، وأطلق الجنود البرتغاليّونَ العيارات النّاريّة، وأرسل الوالي نحو خمسمائة من جنوده، ليشاركوا في الاحتفال، وقام هؤلاء بدورهم بإطلاق العيارات النّاريّة، فضلاً عن ذلك

قامتْ مدافع القَلعة بالإطلاق، للمشاركة في الاحتفال، وبالغ (ديللافاليه) في القول بأنّ المدينة كلَّها احتفلتْ بالمناسبة، النّصارى والمسلمونَ على السّواء.

وفي مساء اليوم الثاني قبل غروب الشّمس، زار الوالي مع حاشيته الكنيسة والدّير، وسط احتفاء الأب الرئيس به بالمراسيم اللائقة، وتقديم أنواع الحلويّات والمرطّبات على عادة أهل البلد، بنحوٍ أرضى الوالي ومَن معه، فخرجوا مسرورينَ، وقدَّم الوالي عند خروجه هديّةً ماليّة للكنيسة، وكان القبطان البرتغاليّ وربابنة السُّفن، وكبار رجال البحريّة، وجميع الإفرنج (الأوربيّينَ) حاضرينَ، ولم يحضر (ديللافاليه) الافتتاح؛ لوعكةٍ صحّيّة ألـمّتْ به.

لم يشيِّد الرّهبان الأوغسطينيّونَ ديراً خاصّاً بهم، وكانوا متردِّدينَ كثيراً في هذا الشّأن، فلم يجسروا على ذلك؛ خوفاً من سقوط البصرة في قبضة الفرس؛ لأنّ الحرب كانت قائمة بينهم وبين العثمانيّينَ؛ لذا اكتفوا باستئجار دارٍ للسكن لإقامة الصّلاة فيها، وكان الوالي يدفع ثمن استئجارها، وقدْ جعلُوا إحدى غرف الدّار معبداً وفتحوهُ للمصلِّينَ، وكان رئيس الدّير مقلَّداً وظيفة نيابة أُسقفيّة (غوا)[١٩]، ومعه راهبٌ آخَر، وكان بين ديرهم ودير الآباء الكرمليّينَ منافسة شديدة على الحقوق والرّئاسة، وكان الوالي يُحسِن معاملة البرتغاليّينَ وسائر الأوربيّينَ؛ نظراً إلى المساعدات الكثيرة التي تلقّاها منهم، حتّى وقت زيارة (ديللافاليه) البصرة، وكان-أيضاً- يدفع المبالغ للمراكب الخمسة المستأجَرة من البرتغاليّينَ -على حدّ قوله-.

دخل (ديللافاليه) من شطّ العرب إلى نهر العشّار، ولم يسمِّه باسمه، بل سمّاه (النهر الدّاخلي لنهر شطّ العرب)، وذكر وجود قلعة معتدلة البناء، في الجانب الشماليّ من نهر العشّار، وهي مكان الكمرك للسُّفن التي تنقل البضائع، ويقابل القلعة مسجدٌ، وهو مسجد الإمام (عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام) الحالي. وعند دخوله نهر العشّار دفع تيّارُ الماء سفينته إلى جهة المسجد، وهناك رأى قائد الأسطول البرتغاليّ، ومعه سفنُه الخمس، وثلاث سفن في شطّ العرب، وكان الوالي معهم، ويتوقّعون هجوماً فارسيّاً على البصرة. وعند دخوله نهر العشّار، رافقه الأب (باسيل الكرملي) مع راهبٍ إيطاليٍّ، وتعرّضوا إلى بعض المشاكل في مركبهم أثناء الدّخول في نهر العشّار بفعل ارتفاع المدّ، فاستدار المركب، وبعدها استمرّ بالمسير داخل المدينة، وذكر أنّ هناك الكثير من البيوت على جانبي النهر، وكانت البساتين متّصلة، وبعدها توقّف المركب داخل المدينة من الجانب الشماليّ من النهر؛ إذْ يكثر عددُ السكّان هناك.

وصفُ الأحداث العسكريّة

اهتمّ (ديللافاليه) في زيارته البصرة بنقل الأحداث العسكريّة والسّياسيّة في المنطقة؛ إذْ كان العثمانيّونَ يُعِدُّون العُدّة لطرد الفرس من بغداد، وفي ذلك اليوم ذكر لنا أنّ المنادي أعلنَ في المدينة أنْ يخرج رجلٌ من كلِّ بيتٍ، ومعه سلاحه، فيلحق بالجيش ليساعد الوالي في حربه ضدَّ الفرس؛ وذلك لوصول أخبار عن اقترابهم من البصرة.

وثَّق (ديللافاليه) في (١٩ آذار) قيام رجلٍ من أكابر البصرة، هو الشّيخ (عبد السّلام العبّاسيّ)[٢٠] بتحشيد أهالي البصرة، فجمع حوله عدداً من أفراد أسرته وأصدقائه وأتباعه، وتوجَّهوا إلى جبهة القتال؛ لنجدة والي البصرة (علي باشا أفراسياب)، وانضمّ إليه نحو مئتين من طائفة الصّابئة يحملونَ البنادق، ومختلف أنواع الأسلحة، وبيَّنَ أنّ هذا الجمع لا يُقارن بقوّة الجيش الفارسيّ، واستعدادهم القتاليّ. فذَكر لنا أنّ الشّيخ (منصور)، الذي تولّى حُكم الحُويزة بعد وفاة أخيه (مبارك)، كان يُراسل والي البصرة، ويبتعد عن إغراءات الشّاه (عبّاس الصّفويّ)، بأنْ يكونَ تابعاً له.

وعند كلامه عن أُسرة (أفراسياب) لم يكن (ديللافاليه) دقيقاً؛ إذْ عدَّ (أفراسياب) مغتصِباً للسُّلطة في البصرة، إلا إنّ الأمر غير ذلك؛ وذلك لأنّ الأخير اشترى الولاية مِن الوالي

العثمانيّ (علي باشا)؛ لعدم قدْرتِهِ على ضبْط أُمور الولاية، وانتشار الفوضى فيها، إلا إنّ كلامه عن أسباب السّيطرة الاسميّة للعثمانيّينَ على البصرة، التي أوجزها بقدْرات (أفراسياب) الإداريّة والسّياسيّة، وبُعد البصرة عن إسطنبول، وكلمته المسموعة بين البصريّينَ، وقُرب البصرة من الفرس أعداء الدولة العثمانيّة، كانت صحيحة، وقدْ استقاها من المسيحيّينَ البرتغاليّينَ في البصرة، أو كما بيّن هو أنّ صديقه (الشّاهبندر الخواجة نجم) قدْ أخبره بها. وقدْ ذكر لنا أنّ حكومة فارس علمتْ بتقرّب الشّيخ (منصور) من والي البصرة، وعدم احترامه الشّاه، إلا أنّها لم تقطع العلاقات به، وحينما انطلقت حملة الشّاه على بغداد سنة (١٦٢٣م)، تمّت دعوة الشّاه للشّيخ (منصور) من أجل المشاركة في هذه الحملة، إلا أنّ الأخير أعطى تبريرات غير مقنعة للشّاه، وعند رجوع الشّاه من حملته على بغداد إلى أصفهان، دعا الشّيخ (منصور) للمجيء إلى بلاطه، إلا أنّه كان يماطل ولم يذهب أبداً، وعندها غضب الشّاه، وكتب إليه بالمجيء فوراً، وهدّده بأنّه سيُرسل إليه مَنْ يقطع رأسه إنْ امتنع عن المجيء، وكان جواب الشّيخ (منصور) حازماً شجاعاً بقوله: «إنْ أراد الشّاه قطع رأسي، فليتفضّل بنفسه؛ لأنّه مستعدّ للدّفاع جيّداً عن رأسه بالسّيف»، وزاد على ذلك بقوله: «إنْ كان الشّاه ملِكاً على فارس، فهو ملك الحُويزة، ولا يعترف به أبداً».

عُدّ هذا الموقف من الشّيخ منصور تحدّياً كبيراً لشاه إيران؛ لذا صمَّم الأخير على معاقبته، وخلعه عن حكم الحُويزة، وقام لتحقيق هدفه بإرسال حملةٍ عسكريّةٍ بقيادة (إمام قلي خان)، واصطحب معه (محمّد بن مبارك)، الذي أقنعته حكومة الشّاه بأنّه أحقّ بالحُكم من عمّه (منصور)، بعد وفاة والده، وكان موجوداً في بلاط الشّاه منذ وفاة والده.

وصلتْ الحملةُ إلى الحُويزة، واتّصلتْ مع بعض شيوخها المؤيّدينَ لـ(محمّد ابن مبارك)؛ ليكون شيخاً عليهم بدلاً من (منصور)، وأمام هذا الأمر اضطرّ الشّيخ (منصور) إلى مغادرة الحُويزة مع خمسمائة من أتباعه المخلصين، والتجأ إلى البصرة؛ إذْ استقبلهم الوالي (علي باشا أفراسياب) بترحابٍ كبيرٍ، وأقطعه أرضاً واسعةً بالقرب من الحُويزة، ليستقرّ فيها مع أتباعه».

لم يكتفِ الخان (محمّد) بالحُكم في الحُويزة، بل صمَّم على دخول البصرة عن طريق القُرنة -التي تُعَدُّ خطّ الدّفاع الأوّل عن البصرة من جهة الشّمال- والتوغّل في الولاية، لكنّ والي البصرة كان متأهّباً للقتال خارج البصرة، وسط عساكره، ومعه ثلاث سفن برتغاليّة حربيّة مستأجرة، إلا إنّ القلق والخوف قدْ خيَّم على البصرة؛ لأنّ جيش الفرس كان أكثر عدّةً وعدداً من جيش البصرة. وقدْ روى القائد العام للقوّات البرتغاليّة لـ(ديللافاليه) كيف حاول الفرس نقل سبع قطع مدفعيّة من أحد موانئهم إلى (الدّورق) لاستخدامها في ضرب البصرة؛ لذا قرّر القائد البرتغاليّ إرسال سفينتين سريعتي الحركة للتصدّي لهذه المحاولة.

وقبل هذه المدّة زار (الشاهبندر الخواجة نجم) الرحّالة (ديللافاليه) وأخبره عن ما يجري من أحداث، ومنها أنّ الفرس تُعِدُّ جيشاً تعداده ثلاثون ألفَ مقاتلٍ تحت إمرة سبعة من (خاناتهم)، [الخان هو لقب الأمير، أو الوالي على المقاطعات الفارسيّة]، وذكر الخواجة (نجم) أنّ فيضان شطّ العرب في ذلك الوقت حال دون تقدُّم تلك القوّات، وهذا يُعدُّ مصدر قوّة للبصرة إلا أنّ انحسار المياه بعد ثلاثة أشهر قدْ يُسهّل للفرس إقامة جسر شمال البصرة، والعبور إلى الأراضي هناك، وعند ذاك لا تُجدي السُّفن البرتغاليّة نفعاً؛ لتعذّر وصولها إلى هناك؛ بسبب عدم صلاحيّة النهر للإبحار. وتشاءم الخواجة من مصير البصرة؛ لأنّ هناك طرقاً كثيرة تؤدّي إليها، سواء أكانت من بغداد -التي استولى عليها الفرس- أم الحلّة التي تقع تحت سيطرتهم، والجهة الوحيدة

التي يمكن أنْ تقدِّم النجدة للبصرة هي جهة البادية، التي يُسيطر عليها أميرها (مدلج أبو الريش)، والأصحّ (أبو ريشة)، وأخبره عن كيفيّة احتلال الفرس لبغداد وكركوك والموصل، ولم يصدّق الأقوال بأنّ جيشاً تركيّاً جرّاراً تحرّك لاستعادة بغداد والموصل وكركوك، وعدّها شائعات لتقوية معنويات أهالي البصرة.

والمهمّ ذكرُه، أنّ علاقات الشّاه مع حكّام البصرة الجُدد(أسرة أفراسياب) كانت غير ودّيّة، فبعد أنْ استولى الشّاه على (هرمز) سنة (١٦٢٢م)، أرسل سفيراً إلى والي البصرة يطلب منه تنفيذ بعض المطالب، وهي: أنْ يذكر اسمه في (خطبة الجمعة)، وأنْ تُسَكّ النقود باسمه، وأخيراً، طلب منه أنْ يأمر شعبه بأنْ (يتعمّم) أهل البصرة على طريقة الفرس، مقابل أنْ يبقى حاكماً مطلقاً على البصرة، وأنْ يكون الحُكم فيها وراثيّاً في عائلته، ولا يتدخّل في شؤونه، ويدافع عنه ضدّ العثمانيّين، وضدّ أيّ تدخّلٍ أجنبيٍّ، ولا يطلب منه فرض أيّ ضريبة على البصرة، بل يترك لهم الحرّية التامّة، وكان ردّ والي البصرة (علي باشا أفراسياب) [الذي يصفه (ديللافاليه) بالرّجل الفطِن الذي يعرف جيّداً أهداف الشّاه، ولم يطمئنّ بوعوده، فضلاً عن ثقته بمساعدة القوّات البحريّة البرتغاليّة في البصرة، لاسيَّما أنّ القوّات الفارسيّة ليس لها طريق سوى البحر وشطّ العرب، وأنّ الفرس لا يملكونَ قوّة بحريّة تستطيع مجابهة سفن البرتغاليّين] رفض عرض الشّاه، وأمر سفير الشّاه بمغادرة المدينة حالاً؛ خوفاً من اتصاله مع بعض أكابر الولاية الذين لهم ميول مع الفرس، الذين بدورهم يؤثّرونَ في النّاس.

لقدْ كان ردّ (علي باشا) حاسماً، وفي لهجة دبلوماسيّة أكّد أنّه من أتباع السُّلطان العثمانيّ، ويفضّل الموت هكذا، وهو مستعدٌّ للحرب إذا ما أرادها الشّاه.

ولمّا عرف الشّاه أنّ هذا الأسلوب لا يُجدي نفعاً، اتّجه إلى أُسلوب القوّة، فأمر (خان شيراز) -وهو من أقوى حكّام ولايات فارس- بتجهيز حملةٍ عسكريّةٍ للاستيلاء على البصرة.

سارت الحملة في طريق تستر إلى الحُويزة، ودخل حدود ولاية البصرة إلى الشّرق من المحمَّرة، وكان ذلك في نهاية سنة (١٦٢٣م)، وقام بمحاصرة قلعة (قبان)، وكادت أنْ تسقط بأيديهم، لولا مساعدة السُّفن البرتغاليّة، التي أمطرتهم بوابل من قذائف مدفعيّتها، فانكسر الجيش الفارسيّ، واضطرّ إلى الجلاء عن المنطقة. وذَكر لنا أنّ الفرس عند انسحابهم السّريع، تركوا عدداً كبيراً من مواشيهم، وكمّيّة وافرة من المؤن، وبرّر لنا هذا الانسحاب السّريع غير المتوقّع، أنّه لم يكن فراراً أمام جيش الوالي، ولكن لأحد أمرين، إما أنّ (هرمز) كانت في خطر، أو أنّ أحداثاً كبيرةً كانت على وشك الوقوع من طرف العثمانيّينَ، أو من جهة المغول.

في نهاية شهر آذار عادتْ إلى البصرة سفينتان برتغاليّتان لقصف المدافع الفارسيّة الموجودة في (الدّورق)، لكنّهم لم يجدوا أثراً لتلك المدافع، وربّما أخفاها الفرس في مكانٍ آخر، لكنّ السُّفن وضعتْ يدها على ثلاثة قوارب فارسيّة، وقامتْ بأسرها، وكانت محمّلةً بالبضائع، وكان فيها رجلٌ غنيٌّ، حاول تخليص نفسه بدفع فديةٍ ماليّةٍ، لكنّهم رفضوا، وقاموا -أيضاً- بقتل جميع الأسرى، وعلّق (ديللافاليه) على ذلك بأنّها أفعالٌ فظيعةٌ، اعتاد البرتغاليّونَ على فعلها في الخليج، وفعلوا أفظع منها في الهند.

وفي السّابع من نيسان عاد الوالي مع جيشه إلى البصرة، بعد أنْ زال الخطر الفارسيّ، ودخل إلى مركز المدينة مع الفجر باحتفالٍ مهيبٍ، وعلى وَقْع أصوات المدافع.

في الرابع عشر من نيسان (١٦٢٥م) وصل مبعوث من السّردار(رئيس الوزراء)، وهو حاجب السّلطان (القبوجيّ) إلى البصرة، وهو يحمل خِلعةً كهديّةٍ، وأخبره أنّ الجيش العثمانيّ قدْ زحف لاستعادة بغداد، إلا أنّ (ديللافاليه) يرى أنّ تلك الأخبار غريبة؛ لأنّ تحرّكه من إسطنبول في شهر آذار مِن تلك السّنة، واستعداده في حلب لجمع ما تحتاج إليه

الحرب يستدعي وقتاً أطول حتّى يصل إلى بغداد؛ ولذا فمن الصّعوبة وصوله بهذه السّرعة، وأنّه لم يُصدِّق قُرب وصول جيش السّردار، كما أُشيع بين النّاس.

وخلال تأهّب (ديللافاليه) للسّفر من البصرة، ذَكر لنا خبراً يتضمّنُ صدور أمرٍ من الشّاه إلى (الخان) الحاكم في بغداد، بأنْ يطلب من أمير البادية (ناصر) القيام على قطع الطريق على القافلة المتوجِّهة من البصرة إلى حلب ونهبها، وكان التجّار في البصرة والمسافرينَ قدْ أكملوا استعداداتهم للرحيل، فداخَلَهُم الخوف من هذه الإشاعة، وبعثوا رسولاً منهم من أكابر أهالي البصرة إلى الأمير (ناصر)، يستوضحونَ منه الخبر، وهل باستطاعتهم السّفر، وهل للقافلة المرور بسلام؟.

ويُرجِع (ديللافاليه) هذا الإجراء من الشّاه إلى محاولته محاربة البصرة اقتصادياً؛ لأنّه بعد سيطرته على (هرمز)، فقدتْ أهمّيّتها التجاريّة، وانتقلتْ الحركة التجاريّة إلى البصرة، المدعومة من جيشها، والقوّة البحريّة البرتغاليّة المرابطة فيها، وافتقار الشّاه إلى القوّة البحريّة الكافية، التي تستطيع أنْ تقف بوجه القوّة البرتغاليّة التي تمنع عن وصول البضائع إلى البصرة؛ لذا كان مصمِّماً على أنْ يُحارب البصرة ليحرم البرتغاليّين من الحصول على موطئ قدَمٍ لهم في المنطقة، ويضطرّهم إلى الرّجوع إلى أحد موانئه دون أنْ يسلِّم لهم (هرمز)، وبما أنّه لا يستطيع إيقاف التجارة بين الهند والبصرة، فقدْ حاول عدم وصولها إلى حلب. وشكّك (ديللافاليه) بأنْ يوافق الأمير (ناصر) على طلب الشّاه هذا؛ لاستفادته من مرور القوافل على هذا الطريق؛ لحصوله على الإتاوات من المسافرين والتجّار، فضلاً عن كونه عربيّاً فلا يعمل ضدّ أبناء جِلدته.

ذَكَر (ديللافاليه) وصول مبعوث آخر إلى البصرة في التاسع من آيار (١٦٢٥م) من قبل السّردار، في جهوده لاستمالة والي البصرة إلى الدولة العثمانيّة ضدّ الفرس، فاستُقبل بحفاوةٍ، وأطلقت المدفعيّةُ عياراتها إكراماً له، وبدوره جلب معه خلعةً جديدةً للوالي، وأخبره أنّ الجيش العثمانيّ في طريقه إلى بغداد، ولم يتأكّد تماماً من الخبر، وقال: إنّ ذلك يقع في مجال رفع معنويّات الباشا وأهل البصرة تجاه الفرس.

وبعد أيّام وصل مبعوثٌ ثالثٌ من قبل السّردار، يحمل خلعةً، وقرداً، وفرماناً (مرسوماً سلطانيّاً) بتثبيت الوالي على حكم البصرة؛ لأنّه لم يحصل -حتّى ذلك الوقت- على تأييد السّلطان.

الشروعُ بمغادرة البصرة

في الحادي عشر من آيار تحرّكتْ القافلة للسّفر -ويبدو أنّها أخذت الضّوء الأخضر من الأمير ناصر- وخيَّمتْ خارج المدينة ببضعة فراسخ للسّير باتجاه حلب، طريق (بصرة-حلب) التجاريّ، وأتمّ (ديللافاليه) استعداداته، واستأجر عدداً من الجِمال لحسابه الخاصّ، وربّما اشترى بعضَ السّلع من البصرة لبيعها في حلب، وأوعز رئيس الشّرطة في المدينة (علي أغا) إلى رئيس الجمّالين (كروان باشي) المدعو (حاج أحمد الأسود)، بالتريُّث عن السّفر لمدّة ثلاثة أيّام، إلا أنّ رئيس الشّرطة منع (ديللافاليه) من السّفر مع القافلة، وطلب منه التريُّث لمدّة أسبوع لقضايا أمنيّة، إلا أنّه التجأ إلى معتمد البرتغاليّينَ في المدينة للتوسّط في سفره، ولكنّ رئيس الشّرطة أقنعه بضرورة تأجيل السّفر لمصلحته، فاقتنع (ديللافاليه) بذلك.

يصفُ (ديللافاليه) أيّامه الأخيرة في البصرة قبل سفره، بترك بيته المؤجّر، وحمل حاجاته إلى دير الآباء الكرمليّين، لمجيء صاحب البيت (الأمير زنبور)[أحد أمراء الإمارة المشعشعيّة في الأحواز]، وفي مساء الحادي والعشرين من آيار، توجّه إلى (المشراق)[٢١]، وهناك دفَعَ رسوم السّفر.

سارتْ القافلة في طريقها، واتّجهت إلى كويبدة (جوبيدة)[٢٢]، وكان فيها شيخ يُدعى (عبد الله) يجمع الإتاوات من القوافل العابرة، ويذكر أنّ المسافرينَ دفعوا في الطريق الصحراوي أربع مرّات، الأولى كانت في (كويبدة)، والثانية

في البادية، استوفاها شيخ عربيّ اسمه (أبو خالد)، والثالثة دُفِعتْ إلى شيخ عربيّ ثالث يلقب بـ(الأعور)، ولم يخبرنا باسم الشّخص الرابع الذي دُفِعتْ إليه الإتاوة.

وبعد مغادرة القافلة (كويبدة)، وصلتْ إلى منطقة آبار تسمّى (الغنيمات)، وأبلغنا رئيس الجمّالينَ بتوخّي الحذر والحيطة من قطّاع الطّرق، وبعدها مررنا بقرية تُسمّى (العرجة)، يحكمها (حسن أغا الكردي)، وفي هذه المنطقة تمّ تحذيرنا من مهاجمة رعاة الجاموس، وسارتْ القافلة في اليوم التالي حتّى وصلت إلى خرائب الأبنية القديمة في (أور)، وأعطانا وصفاً مختصراً عن تلك الآثار، وبعدها واصلتْ القافلة مسيرتها إلى حلب.

الهوامش

١- ديللافاليه: رحّالة إيطاليّ، ولد سنة (١٥٧٦م) من عائلة أرستقراطيّة، سافر إلى إسطنبول سنة (١٦١٤م)، وبعدها زار مصر وحلب، وبعدها قرّر السّفر إلى بغداد، كتب أسفاره على شكل رسائل، بلغت أربعاً وخمسين رسالة، وصل البصرة في سنة (١٦٢٥م)، وبقي فيها أقلّ من شهر، كتب عنها معلومات مفيدة في رسالته العاشرة والحادية عشر، يُنظر: طارق نافع الحمدانيّ، البصرة في رحلة الإيطاليّ ديللافاليه في القرن السّابع عشر، مجلّة دراسات تاريخيّة، العددا، السّنة٢٠١١م: ص٢٤-٢٦.

٢- يُنظر: رحلة ديللافاليه: ص١١٦.

٣- يُنظر: المصدر نفسه: ص١١٧.

٤-ُنظر: المصدر نفسه، ويمكن تحديد موقع الجسر بالقرب من حيّ الباشا الحالي، مقابل دائرة بلديّة مجاري البصرة الحاليّة

٥- الدانك: هو سفينة شراعيّة تسير في المياه العميقة، وليس في الأنهر، أمّا اسم القوارب في نهر العشار، فهي الأبلام، ومنها البلم العشّاري.

٦- يُنظر: المصدر نفسه، وكلّ تلك الجسور تتكوّن من جذوع النخيل.

٧- يُنظر: المصدر نفسه.

٨- يُنظر: المصدر نفسه

٩- - يُنظر: المصدر نفسه: ص١٢٨.

١٠- يُنظر: المصدر نفسه: ص١١٧

١١ - يُنظر: المصدر نفسه

١٢- يُنظر: المصدر نفسه: ص١١٨

١٣- علي باشا أفراسياب (١٦٠٣-١٦٤٧م) ابن أفراسياب مؤسّس الإمارة في البصرة، وأمّه عربيّة من منطقة الدّير شمال البصرة، قام ببناء البصرة من النواحي الاقتصاديّة والاجتماعيّة والعسكريّة، وبنى علاقات جيّدة مع الأوربيّين، ومنهم البرتغاليّون، شجّع الأدب والشّعر، حتّى قيل إنّ عهده شابه عهد هارون العبّاسيّ، اتّبع سياسة بعيدة عن التعصّب المذهبيّ، فأشرك شخصيّات من معظم المذاهب الإسلاميّة في حكومته، مستشارين وقضاة. للمزيد من التفاصيل، يُنظر: الشّهابيّ، ياسين بن حمزة بن أحمد، أُرجوزة في تاريخ البصرة، دراسة وتحقيق: فاخر جابر مطر، البصرة ١٩٩٠م، والشّيخ يحيى بن ملّا خليل البصريّ، الشّاهد الجلي في مناقب الشّيخ علي، مخطوطة في المكتبة العبّاسيّة في البصرة: ورقة ١٤٩

١٤- الأصحّ كتاب الكنزربا، الذي يعني الكتاب العظيم. يُنظر: سباهي، عزيز، أصول الصّابئة (المندائيين) ومعتقداتهم الدّينيّة، دمشق، ١٩٩٦م: ص ١٥، و كنزربا، الكتاب المقدّس للصّابئة المندائيين، ترجمه إلى العربيّة من المندائيّة، يوسف منّي وصبيح مدلول السّهيريّ، وأعاد صياغته الأدبيّة، عبد الرزاق عبد الواحد، بغداد،٢٠٠٠م

١٥ - الدّورق: من مدن الحُويزة المهمّة

١٦- تستر: بالفارسيّة شوشتر، مدينة زراعيّة، تقع شمال مدينة الأحواز في محافظة خوزستان، وتُعدُّ من المدن المهمّة فيها. يُنظر: (www.google.ae/?gwsfd).

١٧- رحلة ديللافاليه: ص ١١٩.

١٨- الرُّهبان الكرمليّين: تسميتهم نسبة إلى جبل الكرمل في فلسطين، قدموا إلى العراق سنة (١٦٢٣م)، ومازالوا فيه لحدّ اليوم، في دير عامر في بغداد. للمزيد من التفاصيل، يُنظر: الرويعيّ، حيدر جاسم، نشاطات الآباء الكرمليّين في العراق حتّى الحرب العالميّة الأولى، مجلّة القادسيّة للعلوم الإنسانيّة، المجلّد الثامن، العدد الأوّل والثاني، ٢٠٠٥م

١٩- غوا: من أصغر ولايات الهند مساحةً، والرابعة عشر في السكّان، تقع في غرب الهند، في إقليم كونكان. يُنظر: ويكيبيديا (الموسوعة الحرّة

٢٠ -الشّيخ عبد السّلام العبّاسيّ: عميد الأسرة العبّاسيّة، ويُسمّى عبد السّلام الكبير بن الشّيخ ساري، جاء مع أبيه إلى البصرة الجديدة في المشراق والسّيمر، اشتهر بالزّهد والتقوى. يُنظر: الشّيخ عبد القادر باش أعيان، موسوعة تاريخ البصرة، الجزء الأوّل، بغداد، ١٩٨٨م: ص٣٤٤.

٢١- المشراق: إحدى المناطق التي هاجر إليها النّاس من البصرة الأولى (التي أسّسها عتبة ابن غزوان سنة ١٤هـ)، وعدّت من المناطق المهمّة؛ لسكن عوائل البصرة المشهورة فيها. يُنظر: المصطفى، المصدر السّابق: ص١١٦

٢٢- جويبدة: منطقة تقع على بعد بضع كيلو مترات غرب آثار البصرة الإسلاميّة، اتّخذها آل مغامس مقرّاً لهم، بعد هزيمتهم من قبل العثمانيّينَ سنة (١٥٤٦م). يُنظر: المصطفى، المصدر السّابق: ص١٤٥.



حَكّ الجار عَلَه الجار

المعنى: لكلّ جارٍ حقٌّ على جاره، فلا يضجرْ منه.

يُضرب للجيران يحصلُ من أحدهم أحياناً بعضُ الأذى، فيجب أن يحتمله جاره، أو عندما يقتضي الأمر مساعدةَ أحد الجيران، فيجب على جاره مساعدته ونجدته ونصرته والدفاع عنه.

حِطِّ المُرْ حَدِرْ والحِلْو فوكَ

فوكَ: فوق.

المعنى: إجعل الشيءَ المُرَّ تحت، والشيءَ الحلوَ فوق، أي: إخفِ ما تشعر به نحو المُقابل من بُغض أو نقد بما تيسَّرَ لك منه من جميل أو حُسنِ ظنٍّ به، ولا تبادرْ أحدا بالسوء إلّا إذا طفح الكيل.

يُضرب لِمَن يشكو من صديقه أو أقاربه أو رئيسه سوءَ معاملة أو ظلماً.

إنْحَكَ ما يِنزِعِلْ مِنَّه

ينزِعِلْ: مِن زَعِلَ زَعَلاً، بمعنى: اِسْتَاءَ، حَنِقَ، سَخِطَ، ضجرَ واضطربَ، وهذه الصيغة هنا مبنية للمجهول: أي: يُزْعَلُ منه، وتضاف له النون تخلُّصاً من فتح ما قبل الاخر في بناء المضارع للمجهول، فهم يقولون في يُضرَب: يِنْضِرِبْ، وفي يُسجَن: يِنْسِجِنْ، وفي يؤكل: يِنوكِلْ عند بنائها للمجهول وهكذا.

المعنى: يجب أن لا يغضبَ أو يستاءَ أحدٌ من الحقّ في القَول والعَمل.

يُضربُ لمَنْ لا يرضى بالحقّ لأنَّه ليس على حقّ.

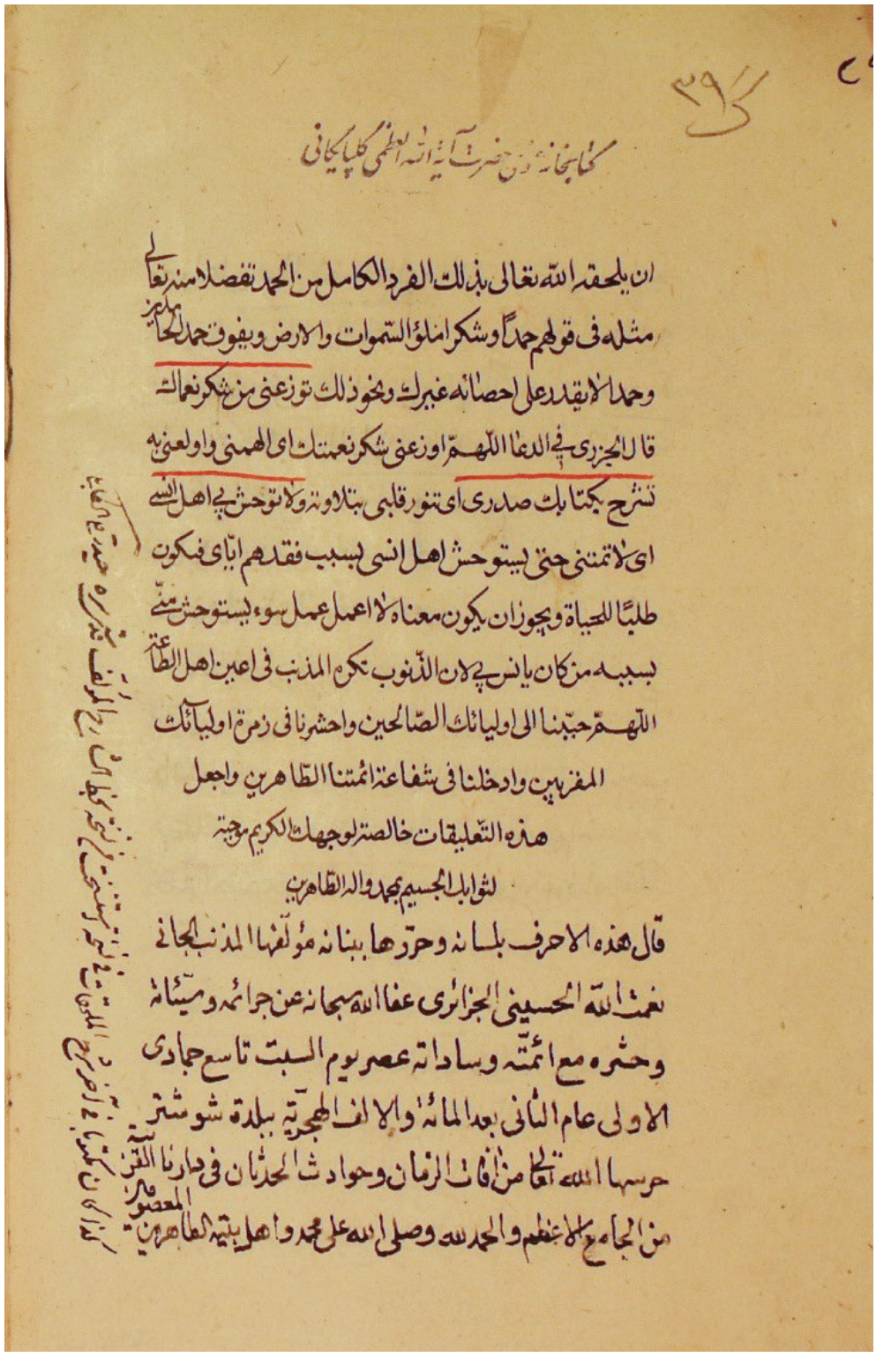
حَطِّ الشّامي عَلَه العامي

الشّامي: نسبةً الى بلاد الشام، وهو كنايةٌ عن الشيء النفيس النادر، وسُميت الأشياء الجيّدة بالشاميّة قياساً على ما كان يرد من الشّام من موادَّ نفيسةٍ، كالحرير وأدوات الزينة والتُّحف وما شابهها.

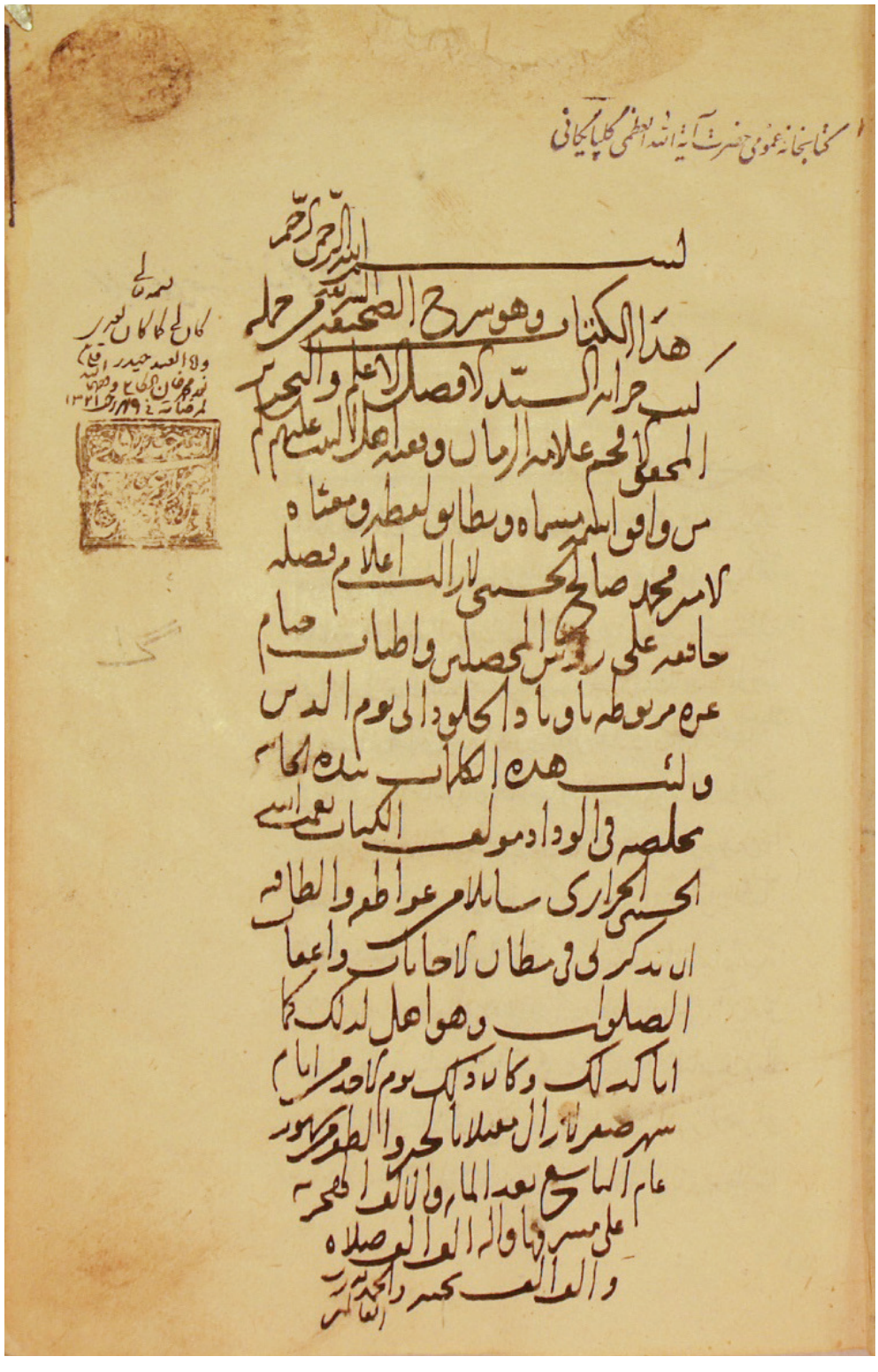
العامي: الشيء العامّ العاديُّ، وهو كنايةٌ عن الشيء التافه الرخيص.

المعنى: لقد وَضَعَ الأشياءَ النفيسةَ الغاليةَ على الأشياء الرديئةِ التافهةِ، وخَلطَها من غير تفريق.

يُضرب للسيِّئ التدبيرِ، الذي لا يفرِّق بين الجيّد والرديء.



الصفحة الأولى من مخطوطة شرح الصحيفة السجادية للسيد نعمة الله الجزائري



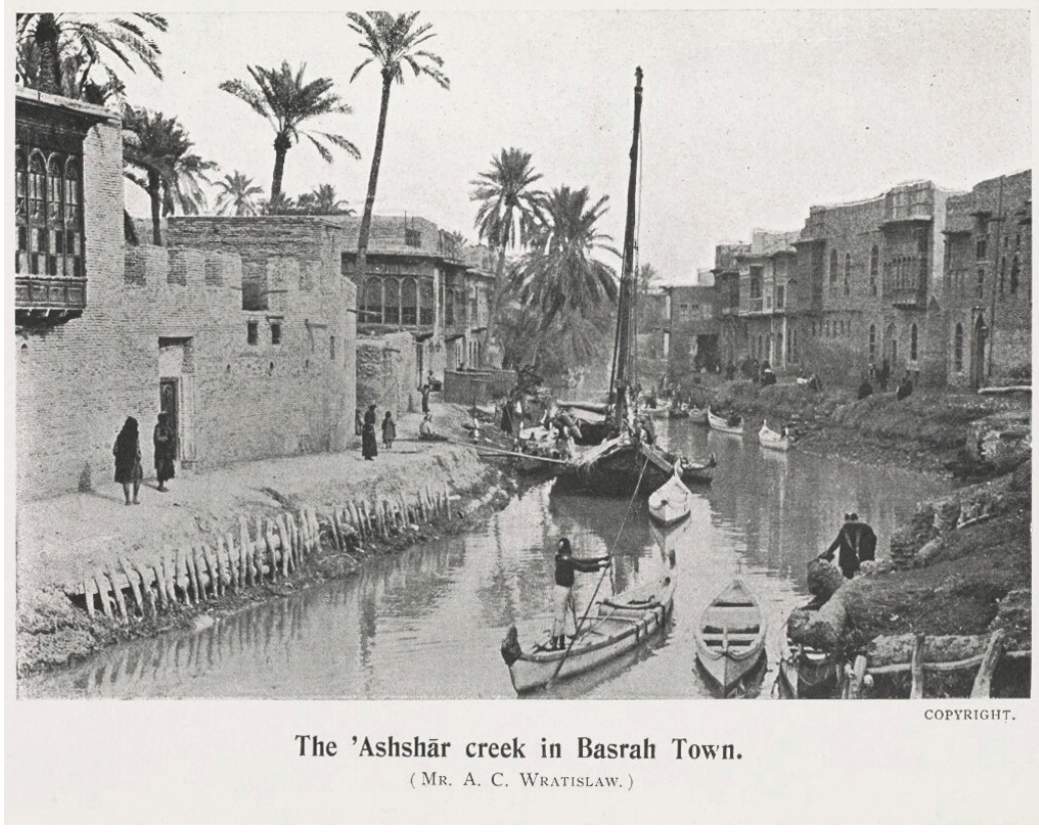
الصفحة الأخيرة من مخطوطة شرح الصحيفة السجادية للسيد نعمة الله الجزائري



نهر في منطقة الفاو



البصرة في السبعينيات



COPYRIGHT.

The 'Ashshār creek in Basrah Town.

(Mr. A. C. Wratislaw.)

نهر العشّار في مدينة البصرة



البصرة ١٩٤٧



شذراتٌ في اللُّغة والأدب
كتابُ دُرّةِ الغَوّاص في أَوْهام الخواصّ(٤)

الشيخ الدكتور: محمود العيداني

من حَميد الأَخلاق غيرةُ المرْء على لُغته؛ لأنّها آلةُ التواصل الاجتماعيّ، ووسيلةُ الإفهام والتفاهم، وأداةُ التعبير عن الاحتياجاتِ الخاصّة والعامّة، وبها يُعبّر عن خَنايا الصُّدور، وخَلَجات النُّفوس، فإذا ما ضَعُفَت قوّتُها، انفرطت الوحدةُ الاجتماعيّة، وضاعَت الدقّةُ في الاستعمال، واحتاجَ إدراكُ المعاني إلى مجهود يَزيدُ عن الفائدة المرجوّة، لهذا، تحرّكَ حماةُ اللغة من قَديمٍ لوضعِ القَواعد والأُسس لاستقامة اللسانِ، والتنبيهِ على مواطنِ الخَلل، وتقويمِ ما اعوجّ، والسّيرِ على هُدى السابقين، معَ فَحصِ الأَحوالِ والظروفِ المؤدّية لهذا الخَلَل، دون إغفالٍ لعَواملِ التطوّر والتجديد في الاستعمال.

ونظراً لقيمةِ اللغةِ العربيّةِ عند أهلِها، والتصدّي لأيّ تحريف أو لحنٍ في استخدامها، وحِرصِ علمائِها على تقويمِ استعمالِها على مرّ العُصور، فقد قام عددٌ من العُلماء بتأليف المعاجِمِ اللغويّة؛ توثيقاً لتُراث الآباء، ومرجعاً نهتدي به عند الاختلافِ، وتَنميةً لما غابَ عن الأذهان، وحمايةً للّغةِ من الضَّياع، وقامَ آخرونَ بتتبّع استعمالِ مفرداتِ اللغةِ، وتصحيحِ الأخطاءِ، وبيانِ الفصيحِ والأفْصحِ؛ استناداً على المخزونِ اللغويّ من كلامِ العَرَب الفُصحاء.

ومن بين هؤلاءِ العلماءِ: ابنُ قتيبةَ في (أدب الكاتب)، والحريريُّ البَصريُّ في (درّة الغوّاص في أوهام الخواصّ)؛ فقد قاما بتقويم غيرِ الصحيحِ الواردِ في استخدام العوامّ والخواصّ، وبيانِ جهاتِ القُصور، سواءٌ أكانَ في البِنْيَةِ، أم التركيبِ اللغويّ، أم الدّلالة؛ وفقَ مقاييسَ وضوابطَ وأُصول[1].

وقد تقدّم تسليطُ الضوء على كتاب للحريري، القاسمِ بنِ عليّ بن محمّد بن عثمان، أبي محمّد، الحريريّ، البَصْريّ، صاحبِ المَقامات المعروفةِ المشهورة[2]، وهو كتاب (دُرّةُ الغوّاص في أوهام الخَواصّ)؛ لبيانِ بعضِ ما يخطئُ فيه المتكلّمون بالعربيّة ويلحَنونَ به، ويحرّفونه.

وتقدّمَ أنّ ممّا يجعل الكتابَ جديراً بالقراءة ليس ما

جاء فيه من مَعلومات وتصحيحات للّغة مهمّة وجيّدة وممّا لابدّ من تعلُّمه فقط، وإنّما ما خالَطَ هذه المعلوماتِ القيّمة من إضافات أدبيّة وقَصَصيّة وفكريّة وثقافيّة مختلفة جادَ بها يراعُ الحريريّ، يجدر بكلّ من يهتمّ باللغة والعِلمِ والمعرفةِ والثقافةِ الوقوفُ عليه، وقد وقعَ القَرارُ على اختيار بعض ما في هذا الكتاب من موارد اهتمَّ بذكرها الحريريُّ، ونَقلها على شَكل مقالاتٍ متسلسلة، وهذا المقالُ يقع ضمنَ هذه السّلسلة من المقالات.

قالَ ﷺ:

«وَيَقُولُونَ: زيدٌ أفضلُ اخوتِه، فيخطِئون فِيهِ؛ لِأَن (أَفعَلَ) الَّذِي للتفضيل لا يُضَاف إِلَّا إِلَى مَا هُوَ دَاخلٌ فِيهِ، ومنزَّلٌ منزلَة الْجُزْء مِنْهُ، وَزيدٌ غيرُ دَاخل فِي جملَة إخوته؛ أَلا ترى أَنه لَو قَالَ لَك قَائِل: مَنْ إخوةُ زيدٍ، لَعَدَدْتَهم دونَه، فَلَمَّا خَرَجَ عَن أَن يكون دَاخِلاً فيهم، امْتنعَ أَن يُقَال: زيدٌ أفضلُ اخوتِه، كَمَا لَا يُقَالُ: زيدٌ أفضلُ النِّسَاءِ؛ لتميُّزه من جِنسِهِنَّ وَخُرُوجِه عَن أَن يُعدَّ فِي جملتهنّ.

وَتَصْحِيحُ هَذَا الْكَلَام أَن يُقَال: زيدٌ أفضلُ الإِخْوة، أَو أفضلُ بني أَبِيه؛ لِأَنَّهُ حينئذٍ يدْخل فِي الْجُمْلَة الَّتِي أضيفَ إِلَيْهَا؛ بِدلَالَة أَنه لَو قيل لَك: مَن الإخوةُ؟ أَو مَنْ بَنو أَبِيه؟ لعددتَهُ فيهم، وأدخلتَه مَعَهم.

وَيَقُولُونَ لمن يَأْخُذ الشَّيْء بِقُوَّة وغِلْظة: قَد تَغَشرَمَ، وَهُوَ مُتَغَشْرِم.

وَالصَّوَابُ أَن يُقَال فِيهِ: تَغَشْمَرَ، وَهُوَ مُتَغَشْمِرٌ، بِتَقْدِيم الْمِيم على الرَّاء، كَمَا قَالَ الراجزُ:

أَنَّ لَهَا لَسائِقاً عَشَنْزَرا إِذا ونين سَاعَةٍ تَغَشْمَرا

ويُروى: إِن لَهَا لسائقا غَشَوْزَرا، وَكِلَاهُمَا بِمَعْنى: الشَّديد.

وَمن كَلَام الْعَرَب: قد تَغَشْمَرَ السَّيْلُ، إِذا أقبلَ بِشدَّةٍ، وَجرى بِحِدَّة.

وَيَقُولُونَ: بعدَ اللُّتَيّا وَالَّتِي، فيضمون اللَّام الثَّانِيَة من اللتيّا، وَهُوَ لحنٌ فَاحشٌ، وَغلطٌ شائنٌ؛ إِذْ الصَّوَاب فِيهَا اللَتيا بِفَتْح اللَّام؛ لِأَن الْعَرَب خَصَت الَّذِي وَالَّتِي عِنْد تصغيرهما وتصغيرِ أَسمَاء الْإِشَارَة بِإِقْرَارِ فَتْحةِ أوائِلها على صيغتِها، وَبِأَن زَادَت ألفاً فِي آخرِهَا، عوضاً عَن ضمِّ أَوّلهَا، فَقَالُوا فِي تَصْغِير الَّذِي وَالَّتِي: اللَذيّا واللَتيّا، وَفِي تَصْغِير ذَاك وَذَلِكَ: ذيّاك وذيّالك، وَعَلِيهِ أنْشدَ ثَعْلَبُ:

بذيّالك الْوَادي أَهيمُ وَلمْ أقَل

بذيّالِكَ الْوَادي وذيّاكَ من زُهدِ

وَلَكِنْ إِذا مَا حبَّ شَيْء تولّعَتْ

بِهِ أحْرَفُ التصغير من شِدَّةِ الوَجْدِ

أَرَادَ: أَنّ التصغيرَ قد يَقعُ من فِرطِ الْمحبَّةِ ولطفِ الْمنزلَةِ، كَمَا يُقَال: يَا بُنَيَّ وَيَا أُخَيّ.

وَقَولُه: إِذا مَا حبَّ شَيْءٌ، يَعْنِي بِهِ: أَحَبَّ؛ لِأَنَّهُ يُقَالُ: أَحَبَّ الشَّيْءَ، وحبَّهُ بِمَعْنى، كَمَا جَاءَ فِي المَثَل السائر: مَنْ حَبَّ، طَبَّ، إِلَّا أَنّهم اخْتَارُوا أَن بَنَوا الْفَاعِلَ من لَفْظَة أَحَبَّ، وبنوا الْمَفْعُولَ من لَفْظَة حَبَّ، فَقَالُوا للْفَاعِل: مُحِبٌّ، وللمفعول: مَحْبُوبٌ؛ ليعادِلوا بَينَ اللفظتَين فِي الِاشْتِقَاقِ مِنْهُمَا،والتفريع عَنْهُمَا، على أَنّه قد سُمعَ فِي المَحبوب مُحَبّ، وَعَلِيهِ قَول عَنترةَ:

وَلَقَد نَزَلْتِ فَلَا تَظُنّي غَيرَه

مِنّي بِمَنْزِلَة الْمُحَبِّ المُكْرَم»[3].

الهوامش

١- من مقالة للأستاذة أنسام محمّد الحسيني، بعنوان (الإنتصارُ للخواصّ من الحَريريّ الدّلالة أنموذجاً)، منشور في مجلّة كلّية الآداب جامعة بورسعيد العدد (٨) ٢٠١٦، ص١٣.

٢- أنظر ترجمته المفصّلة في: الأنْساب للسمعانيّ: ٤/ ٩٥ و١٢١، المنتظم لابن الجَوزيّ: ٩/ ٢٤١، مُعجم الأدباء لياقوت الحَمَويّ: ١٦/ ٢٦١، وفيّاتُ الأَعيان لابن خِلّكان: ٤/ ٦٣، وتذكرة الحُفّاظ: ٤/ ص١٢٥٧، والعبر: ٤/ ٣٨، وطبقات الشافعيّة للسُّبكيّ: ٧/ ٢٦٦، والنّجوم الزاهرةُ لابن تغرى بردى: ٥/ ٢٢٥، وشَذَرات الذّهب لابن العِماد الحَنبليّ: ٤/ ٥٠، وسِيَر أعلامِ النُّبلاء للذّهبي: ١٤، ٢٢٨.

٣- المصدر: درّة الغوّاص في أوهام الخواصّ، المحقق: عرفات مطرجي، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨/١٩٩٨هـ، ص١٤ـ ١٥.



الشّيخُ حسين بنُ مُفلِحِ بنُ الحسنِ، الصّيمريُّ، البصريُّ..

سيرته وآثارُه العلميّة

حسين علي أيوب

البصرةُ حاضرةُ العلم والعلماء، وفيها نشأت اللبنةُ الأولى لأهمّ العلوم، ومنها انطلقت إلى أرجاء المعمورة منذ السنوات الأولى بعد التمصير، واستمرّت على مرِّ القرون على يد أبرز العلماء الذين ذاع صيتُهم آنذاك، الذين تركوا البلد الأمَّ، وشدّوا الرحالَ لطلب العلم ونشره أينما وجدوا حاجة إلى ذلك، إلّا أنّهم عُرفوا واشتهروا بنسبتهم إلى المدينة الأولى (البَصرة)، وأشاروا إلى ذلك في مؤلَّفاتهم وأشعارهم ونتاجاتهم المختلفة في مختلف العلوم، فحفيٌّ بنا (مركز تراث البصرة) أن نُجهدَ النفسَ في البحث عنهم، ودراسةِ سيرتهم، وتسليط الضوء على آثارهم ونتاجاتهم العلميّة، والعمل على تحقيقها، لكي تكتملَ الصورة في جمع التراث وتبويبه لما يخدم المكتبة العلميّة بصورة عامّة، والبصريّة بصورة خاصّة.

وحديثنا هنا ينصبُّ على العالمِ الجليلِ، والعلّامة النابِهِ الفَضيل، الشّيخِ حسين بنِ مُفلحِ بنِ الحسنِ الصّيمريّ، ذي الأصول البصريّة التي لا يشوبها الغُبار؛ فوالده الشيخ مُفلحُ بنُ الحسن بنُ راشدٍ الصّيمريّ، نزيل البَحرين، الذي اقتصرتْ شهرتُه على أهل العلم، فهو من أهالي مدينة البصرة، من قرية الصّيمر، وُلد ونشأ وترعرع فيها، ثمّ هاجر إلى البحرين، وسكن قرية (سلماباد)، حتّى عُدّ من أبرز علمائها، فهناك ولدَ الشّيخُ حسينُ بنُ مُفلح بن الحسن الصّيمريّ، وسنحاول ههنا أنْ نستعرض شيئاً منْ سيرتِهِ وحياتِهِ العلميّة، مستعينينَ بما قدّمتْه لنا كتبُ التّراجم والرّجال منها، ومنَ اللهِ التّوفيق.

إسمُهُ ونسبُهُ

هو الشّيخ حسينُ بنُ مُفلح بنُ حسن بنُ رشيد بنُ صلاح، الصّيمريّ البحرانيّ[1]، والمُلاحَظ أنّ العلّامة الحرّ العامليَّ

قدْ جعل اسم جده (حسين)[٢]، وتابعه على ذلك صاحبُ الرياض[٣]، إلّا أنّ باقي العلماء ومَن ترجمهُ يُصحّحونه بـ(الحسن)، قال العلّامة الأمين: «قال الآقا بزرگ الطهرانيّ العسكريّ فيما كتبه إلينا: الذي وجدناه في جميع النسخ (ابن الحسن) مكبَّراً، حتّى في إجازته التي بخطّه لناصر بن إبراهيم البويهيّ، فما في نسخة الأمل المطبوعة من أنّه (ابن الحسين) غلط، وفي رسالة الشّيخ سليمان الماحوزيّ البحرانيّ التي كتبها في ذكر بعض علماء البحرين في نسخة (ابن الحسن بن رشيد)، وفي أُخرى (ابن راشد)، وفي إجازة الشّيخ مُفلح لناصر بن إبراهيم البويهيّ التي بخطّه سنة (٨٧٣هـ)، هكذا: مفلح بن حسن رشيد بن صلاح الصّيمريّ...»[٤].

وعلى الرّغم من وقوع الخلاف في اسم والد جدِّه -أيضاً- بين (راشد)، و(رشيد)، إلّا أنّ المصحَّح هو (رشيد)، وتشهد لذلك إنهاءاتُ كتبِهِ، ومنها إجازتُه لناصرِ بنِ إبراهيم البويهيّ المذكورة، ولعلّه كان يُطلق على أبيه الاسمين: (رشيد) و(راشد)؛ استئناساً، كما هي العادةُ في زماننا، وعليه كانَ يجري قلمُهُ الشّريف، والله أعلم.

أمّا والدُه، فهو الشيخُ مُفلحُ بنُ حسن بنُ رشيد بنُ صلاح الصّيمريّ البحرانيّ، من كبار علماء القرن التاسع الميلاديّ، تلمّذ على الفقيه الكبير أحمد بن محمد بن فهد الحلّي (ت٨٤١ هـ)، وبرع في الفقه، وصنّف فيه وأجاد، واشتهرت فتاويه، ودُوِّنت في كتب الفقهاء، كالجواهر، والمقابيس، ومفتاح الكرامة، وغيرها.

وكان فرضياً، أديباً، شاعراً. سكن قرية (سلماباد) بالبحرين، وغادرها مدّة ثم آبَ إليها[٥].

جاء في كتاب (رياض العلماء): «فاضلٌ، علّامةٌ، فقيهٌ، له كتبٌ، منها: شرحُ شرائع الإسلام، وشرحُ الموجز، ومختصرُ الصّحاح، ومنتخبُ الخلاف، وله رسالة سمّاها: جواهر الكلمات في العقود والإيقاعات، وهي دالّة على علمه وفضله واحتياطِه، وهو معاصرُ الشّيخ عليّ بن عبد العالي الكَرَكيّ»[٦].

لمْ تتوافر معلوماتٌ عن جدّه، وقدْ استظهر العلّامةُ الأمينُ أنّ جدَّه لم يكنْ من العلماء؛ مستنداً إلى عدم ذكر الشّيخ سليمان الماحوزيّ له، إلّا أنّه يُعتذر له بجملةٍ من الأُمور التي تنمُّ عن الضبط، قال: «أمّا والدُهُ، فلعلّه لمْ يكن من العلماء؛ لأنّ الشّيخ سليمانَ الماحوزيَّ البحرانيَّ في رسالته التي كتبها في ذكر بعض علماء البحرين، ذكر الشّيخَ مُفلحاً وابنَه الحُسينَ بنَ مُفلح، ولم يذكر والدَه، ولو كان من العلماء، لذكره، ويُحتمل سقوطُه من قلمه، أو تركُه له ككثيرٍ من مشاهير البحرانيّينَ، ويُحتمل اتّحادُه مع الحَسن بنِ محمّد بنِ راشدٍ البحرانيِّ، صاحبِ نظمِ ألفيّة الشّهيد، أو الحسن بن محمّد بن راشد[٧]، صاحب كتابِ مصباح المهتدينَ»[٨].

وللشيخ حسينٍ ابنٌ، وهو الشيخ عبد الله، الذي كان من العلماء والفضلاء، وله ترجمة في أنوار البَدرَين.[٩]

عن النِّسبة إلى الصّيمرة

ذُكِرتْ في نسبته إلى (الصّيمرة) ثلاثةُ أقوال:

صَيْمَرةُ البصرة.

صَيْمَرةُ البحرين.

صَيْمَرةُ التي بين ديار الجبل وخوزستان.

والمشهور بين مَن ترجم لهُ نسبتُه إلى صَيمَرة البَصرة، وقدْ فصّل القولَ في ذلك العلّامةُ الأمينُ، قال: «الصّيمريُّ: نسبة إلى (صَيْمرة)، بصادٍ مهملة مفتوحة، ومثّناةٍ تحتيّة ساكنة، وميمٍ مفتوحة وراء مهملةٍ وياء. في معجم البلدان: كلمة أعجميّة، وهي في موضعين: أحدُهما بالبصرة على فم نهر مَعقِل، وفيها عدّة قرى تسمّى بهذا الاسم. وبلد بين ديار الجبل وديار خوزستان، هي مدينةٌ بمهرجان قَذَف، وهي للقاصدِ من هَمدان إلى بغداد عن يساره، قال الاصطخريّ: وأمّا صَيمرة والسيروانُ، فمدينتان صغيرتان. وفي أنساب السّمعانيّ: الصّيمريّ هذه النسبة إلى موضعين: أحدهما منسوب إلى نهرٍ من أنهارِ البصرة يُقال له الصّيمريّ، عليه

عدّة قرى، وأمّا الصّيمرة، فبلدةٌ بين ديار الجبل وخوزستان، وسألتُ بعضهم عن هذا النسب، فقال: صيمرةُ وكوهُ دشت قريتان بخوزستان. وقال الشّيخ سليمان البحراني: إنّ المترجَم أصلُه من صَيمر البَصرَة، وانتقلَ إلى البَحرين، وسكن قرية سنم آباد»[١٠].

وقال الشّيخُ البلاديُّ البحرانيُّ في (أنوار البدرين): «أخبرني جملةٌ من الثقات أنّه (رحمه الله) في قرية سلماباد، في محلّة منها يقال لها صَيمَر، فلعلّ هذا الشيخَ سُمّيَ منها، إلّا أنّ علماءَنا المتصدّين لذكر العلماء يذكرون أنّه في صَيمَرِ البصرة، ثمّ انتقل الى البحرين، فلعلّه أُخفي عليه اسمُ تلك المحلّة، ونظروا إلى أنّ اللّفظ ينصرف عند إطلاقه إلى أظهر الأفراد، فحكموا بذلك...»[١١].

والملاحَظ أنّ جملةَ مَنْ ترجَم له أشار إلى الصّيمرة التي في البصرة والتي بين ديار الجبل وخوزستان دون التي في البحرين[١٢]، مرجّحينَ التي في البصرة، كما تقدّم.

وقدْ أرّخ الشّيخُ الصّيمريُّ سكنَهُ في البحرين وانتقالَه منها، ما يُستظهر منه نفيُه أنْ تكونَ البحرينُ مسقطَ رأسه، وذلك في قصيدتِهِ النّونيّةِ، التي قالها بعد خروجه منها بسبب الاضطهاد، وفيها:

ألا مَنْ مُبلغُ الإخوانَ أنّي ... رضيتُ بسُنّةِ الفُجّار فينا
فأفعلُ مثلَ (فَعلانٍ) وإنّي ... كـ (جُندبَ) للولاية قدْ نُفينا
وماأَسَفيعلىالبَحرينِلكنْ ... لإخوانٍ بها لي مؤمنينا
دَخَلنا (كارهينَ) لها فلمّا ... أَلِفْناها (خرجنا) كارهينا

ويُذكر أنّه رجع إليها مرّة أخرى[١٣].

ولادتُهُ ووفاتُهُ

لم يَذكر مَن ترجم له تاريخَ ولادته، ولكنْ ذكروا أنّه تُوفّي في حدود سنة (٩٣٣هـ)، وعمره ينيفُ على الثمانينَ سنةً، وقبرُه في قرية (سلماباد) البحرينيّة، وقبر أبيه الشّيخُ (مفلحٌ) بجنبه[١٤].

مشايخُهُ وتلامذتُهُ

لم تسلّط المصادرُ الضّوءَ على مشايخه وتلامذته بشكلٍ وافٍ تتبيّن من خلاله نشأتُه العلميّة؛ فقد ذُكر أنّه قرأ على أبيه، ويروي إجازة عن المحقّق الكركيّ.

ذَكرَ صاحب اعيان الشيعة أنّه «اجتمع في بعض أسفاره بالمحقّق الكركيّ، واستجاز منه، فأجازه. قَرأَ على أبيه، وله رواية عنه، له عدّةُ كتب ذكر السيّدُ الأمينُ في الأعيان تسعةً منها. ومن تلامذته: الشيخ يونس المفتي بأصفهان، والشيخُ يحيى بن الحسين بن عشيرة»، وكذا وجّه عدداً من الرسائل الفقهيّة الى المحقّق الكركيّ عُرفت (بالأسئلة الصَّيمريّة)[١٥].

الإطراء عليه:

قال في أمل الأمل: «فاضلٌ، علّامةٌ، فقيه»[١٦]، وقال في مقابس الأنوار: «الفقيهُ، الفاضلُ، المدقّقُ، الحَبْرُ، الكاملُ، المحقّق»[١٧]. وذكره صاحب مشايخ الشيعة فقال: «الشيخُ الفاضلُ، نصيرُ الحقّ والملّة والدين»[١٨]، وقال في أنوار البدرين: «الشيخُ، الفقيهُ، الزاهدُ، العابدُ، الورعُ، الشيخُ حسين، أورعُ أهلِ زمانِه، وأعبدُهم، وأفضلُهم كانَ مستجابَ الدعوة، كثيرَ العبادات والصّدقات، قلَّ أن يمضيَ له عامٌ في غير حجٍّ أو زيارةٍ، لم يعثر له على عثرة، وكان للناس فيه اعتقادٌ عظيمٌ، وراج الشرعُ الشريفُ في زمانه غايةَ الرّواج، وكان أذكى أهل زمانه»[١٩].

مؤلَّفاتُه:

١- المناسكُ الصغير.

٢- المناسك الكبير، قال تلميذه الشيخ يونس: كثير الفوائد.[٢٠]

٣- كتابُ إلزام النَّواصب، نسبه إليه صاحبُ الرياض، وقال: هو كتاب معروفٌ، وقد اشتبه مؤلِّفه على أكثر أهل عصرنا، وقد وجدتُ عدّة نسخ عتيقة منه في البحرين وبلاد

الأحساء وغيرها، وكان فيها أنّه من مؤلّفات الشيخ حسين هذا، وقد يُظنّ أنّه تأليف والده.

٤- فوائدُ وتعليقاتٌ على كتب الفقه وغيرها، قال صاحب الرياض: إنّه رأى بعضَها.

٥- محاسنُ الكلمات في معرفةِ النيّات، ذكره بحرُ العلوم في فوائده، وقال: إن فيه كثيرا من فتاوى والده في كتابَيه: شرح الموجز وشرح الشرائع، أمّا جواهرُ الكلمات، فهو لوالده.

٦- أجوبةُ مسائل وبعضُ الفتاوي

٧- الأسئلةُ الصيمريّةُ: وهي مسائلُ فقهيّةٌ أرسلها إلى المحقّق الشيخِ عليِّ بنِ عبد العالي الكركيّ، فأجاب عنها تقربُ من مائتَي بَيت.

٨- الايقاظات في العقود والايقاعات.

٩- رسالةٌ في جواز الحُكومة الشرعيّة للمقلِّد مع عدم وجود المجتهد للضرورة.

وله فوائدُ وتعليقاتٌ على كُتب الفقه وغيرها[٢١].

الهوامش

١- وذكره بهذا الاسم والنسب كلٌّ من: السيّد محسن الأمين في أعيان الشيعة: ١٧٤/٦، والشيخ عليّ البحرانيّ في أنوار البدرين: ٧٦، والشيخ الطهرانيّ في الذريعة، ٨٩/٢.

٢- أمل الآمل، الحرّ العاملي: ٣٢٤/٢.

٣- عبد الله أفندي: ٤٣/٦.

٤- أعيان الشيعة: ٤٧٧/١٤.

٥- موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلميّة في مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام، ٢٨٣/٩.

٦- أمل الآمل، الحرّ العاملي: ٣٢٤/٢، رقم الترجمة ١٠٠١، وعنه: الميرزا عبد الله أفندي: ٢١٥/٢، وتابعه على ذلك السيّد الخوانساريّ في روضات الجنّات، وإسماعيل باشا البغداديّ في هديّة العرفين: ٤٨٨/٢.

٧- وقدْ أفرد له د. سالم النويدريّ، صاحب كتاب (أعلام الثقافة الإسلاميّة في البحرين خلال ١٤ قرناً)، ترجمة، عادّاً إيّاه والد الشّيخ (مفلح)، ثمّ ينقل كلام العلامة الأمين المتقدّم.

٨- أعيان الشيعة: ٤٧٧/١٤.

٩- أنوار البدرين، الشيخ البحرانيّ: ٧٧.

١٠- أعيان الشيعة: ٤٧٦/١٤.

١١- هامش صفحة ٧٤.

١٢- يُنظر: معجم البلدان: ٢١٤/٥، وآثار البلاد وأخبار العباد للقزوينيّ: ص٤٠٠، واقتصر على ذكر صيمرة البصرة، وتقويم البلدان لأبي الفداء (ت٧٣٢هـ): ص ٤١٢-٤١٣، ومختصر البلدان لابن الفقيه: ص٢٠٩، واقتصر على التي في الجبل، وطبقات الشافعيّة الكبرى: ٣٣٩/٣، ورياض العلماء: ١٧٦/٧.

١٣- أعيان الشيعة، السد محسن الأمين: ٤٧٧/١٤.

١٤- يُنظر: أنوار البدرين: ص٧٦.

١٥- الذريعة، الشيخ الطهرانيّ: ٨٩/٢.

١٦- أمل الآمل، الحر العاملي: ٣٢٤/٢.

١٧- مقابس الأنوار، أسد الله التستريّ: ١٤.

١٨- تلخيص الخلاف وخلاصة الاختلاف، الشيخ مفلح الصيمريّ، ٥/١.

١٩- انوار البدرين، الشيخ البحراني: ٧٦.

٢٠- تلخيص الخلاف وخلاصة الاختلاف، الشيخ مفلح الصيمريّ، ٥/١.

٢١- أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ١٧٥/٦.

الحاجُّ حميد الحجّاج: صانعُ طرّادة الرحّالة ثيسجر

د. مشتاق عيدان اعبيد

في ناحية الهوير، التابعةِ لقضاءِ المْدَيْنَة، وُلد الحاجُّ حميد سعودي مصارع الحجَّاج في عام ١٩٠٢م، ودخل الكتاتيبَ، وتعلَّمَ القراءةَ على يد المُلّا شريفة، والنجارةَ وصناعةَ الزَّوارق على يدَي أبيه، وَبرعَ في صناعة الطرّادة الخاصّة للشيوخ، التي تُصنع من خَشَب السّاج، ويصلُ طولُها إلى سَبعَة أمتار، وتكون مرصَّعةً بأقراص حديدٍ على الجانبين، وفي وسطها مكانٌ فيه مظلّة مخصّصة لجلوس الشّيخ، وذكر الرحّالةُ البريطانيُّ ويلفريد ثيسيجر (١٩١٠-٢٠٠٣) في كتابه (عَرَبُ الأهوار)، أنَّ صُنّاع القّوارب «ينتشرون في الهور وحولَه، وفي الهوير الواقعة على الفرات بأميال قليلةٍ أسفلَ الجبايِش، تمتهنُ القريةُ الكبيرةُ بأسرِها هذه الصناعةَ، حيث لا يصنعون القواربَ الصغيرةَ فقط، بل الشراعيَّةَ أيضا، وكان حجّي حميد الذي عاش هناك أكثرَهم شُهرة في هذا المجال، والطرّادات التي يصنعها معروفةٌ في تلك النواحي في جنوب العراق».

وقام الحاجُّ حميد سعودي بصناعة طرّادة للشيخ حميد حمود الأمارة، وعندما رآها بعضُ رجال الشيخِ مجيد الخليفة شيخ عشيرة آلبو محمد، الذين يأتون من العمارة إلى الجزائر (قضاء المدينة حاليّا)، نقل أوصاف تلك الطرّادة إلى شيخهم، فبعثَ بعضَ رجاله إلى الهوير ومعهم خمسون ديناراً، وطلبوا من الحاجّ حميد صناعة طرّادة للشيخ مجيد الخليفة، فلبَّى طلبَهم، وعملها بأحسن حال.

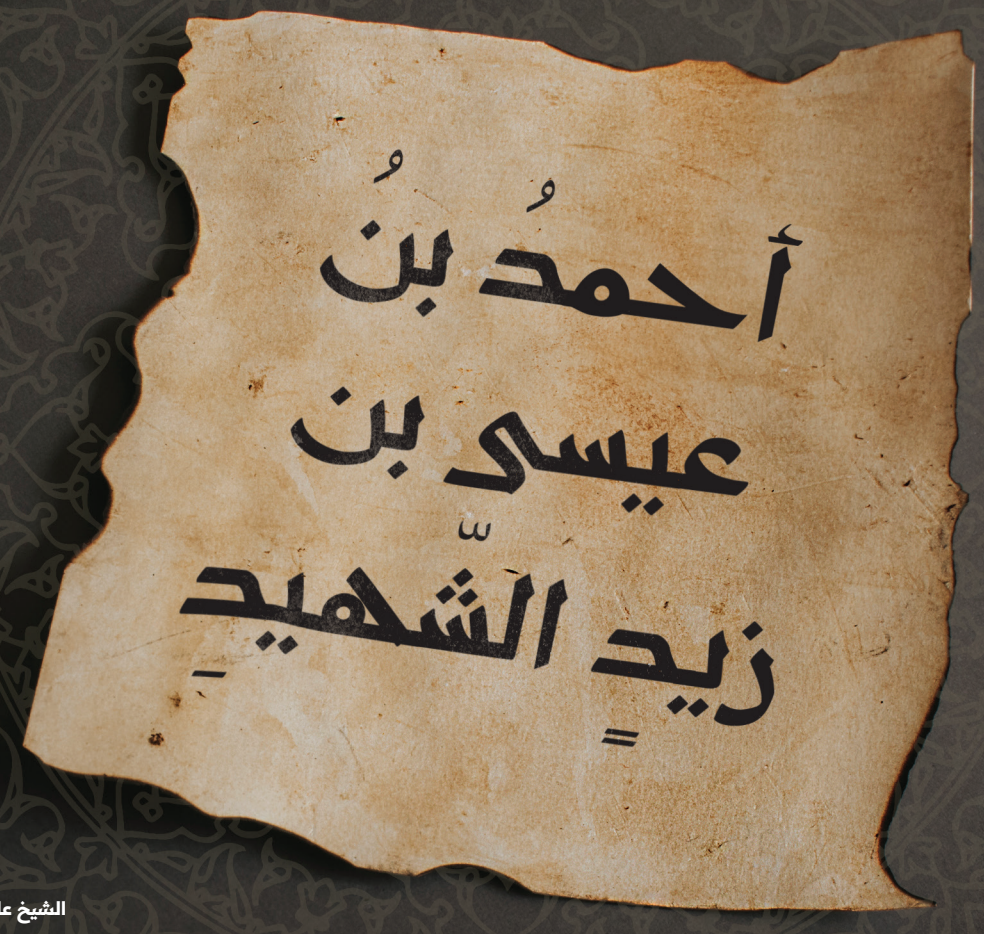
وفي عام ١٩٥١م تعرَّفَ الرحّالةُ ثيسجر على الشيخ فالح ابن الشيخ مجيد الخليفة، وتردّد عليه كثيراً، وتوطّدت علاقتهما، وقرَّر الأخير أنْ يهديَ له طرّادةً على غرار طرّادة الشيوخ، ويذكر ثيسجر في كتابه، أنَّه اشترى مشحوفاً من العمارة، وعند عودته إلى بيت الشيخ فالح مجيد الخليفة، سأل الشيخَ عن رأيه بمشحوفه الذي اشتراه، وثناء ذلك أمرَ الشيخُ أحدَ حاشيته، فذهب وعاد ساحباً طرّادةً جديدةً، سوداءَ رفيعةً ينتصب قيدومُها عالياً، وقال له الشيخ فالح: «أوصيتُهم بصبغها، وصلت أمسِ من الهوير، إنَّها لك، لك خصّيصاً... أنَّك شيخ... هذه الطرّادة تليقُ بمقامك»، ويصفها ثيسجر «إنَّها جميلة، واحدةٌ من صنائع حجّي حميد. أفضل طرّادة بناها إلى الآن. ليس هناك طرادة تنافسُها بالجمال». وقد بعثها الحاجُّ حميدٌ بنفسه الى الشيخ فالح، وأثناء وجوده هناك، تعرَّفَ على ثيسجر، الذي كان منبهراً بصناعة الطرّادة، وعلى أثر ذلك زارَ قريةَ الهوير، وكان مضيفُ الحاجّ حميد مأوى له، وتنتهي عنده رحلاته حينما يتّجه جنوباً إلى البصرة.

بعد ذلك تكرّرت زيارته للحاجّ حميد عندما يأتي للأهوار عن طريق البصرة؛ ليشاهده يصنعُ الطرادةَ، وحين كان يأتي يمارس الطبَّ والخِتان لأهل المنطقة. وفي أحدى زياراته في عام ١٩٥٨م، وجد الحاجَّ حميدا وهو منهمك بعمل مقدّمة طرّادة، فالتقط صورة له قام بنشرها في كتابه (عَرَبُ الأهوار)، الذي صدر عام ١٩٦٤م في لندن.

وقد ترك الحاجُّ حميد مهنتَه بعد أنْ كبر سنُّه، حتّى وفاته في عام ١٩٩٣م.

وفي الرابع والعشرين من تشرين الأوّل عام ٢٠١٨، كان الآثاريُّ عبدُ الأمير الحمدانيُّ والفنّان رشاد سليم في أكسفورد يبحثان في أرشيف صور الرحّالة وليفرد ثيسجر التي التقطها في خمسينيّات القرن الماضي، ومنها ما يخصّ طرّادة ثيسجر، وبعد ذلك التاريخ بيومين توجها إلى الهوير؛ لصنع نموذج من تلك السفينة ومثيلاتها الحاليّة، وأقاموا (مشروع طرّادة) للتعريف بالقوارب السومريّة، وقام بعرض أرشيف صور الرحّالة ثيسجر.





الشيخ علي الغزي

أحمد بن عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام، ويكنى أبا عبد الله، وأمّه عاتكة بنت الفضل بن عبد الرَّحمن بن العبّاس بن ربيعة بن الحارث عبد المطّلب، كان فاضلاً عالماً مقدَّماً في أهله، معروفاً فضله. وقدْ كتب الحديث[1]، كانتْ ولادته في الثّاني من محرّم سنة سبعة وخمسين ومائة، وقال الصّفديّ: «خرج بعبادان في خلافة الرّشيد، وبويع له سرّاً سنة خمس وثمانين ومائة، ثمّ إنّه هرب، فلم يزل مستخفياً إلى أنْ مات في اختفائه بالبصرة، سنة سبع وأربعين ومائتين، وكانتْ مدّة استتاره اثنتين وستّين سنة، ولا يُعرف مَن استترَ وخَفِيَ أمرُه هذه المدّة كلّها، غير هذا»[2].

ونُسبَ إليه كتاب (الأمالي)، المسمَّى بـ(بدائع الأنوار في محاسن الآثار)، وهومن كُتب الزّيديّة. كما نُسبتْ إليه آراء مخالفة لما روي عن أهل البيت عليهم السلام منها إباحة الزّوجة بتطليقها ثلاثة دفعة واحدة، وهوما رواه عنه يحيى بن الحسين في كتاب (الأحكام)، وهومن كتب الزّيديّة[3]: «حدَّثني أبي وعمّاي، عمّن يثقون به، عن أحمد بن عيسى بن زيد، أنّه سُئل عمّن طلّق امراته ثلاثاً معاً، فقال: بانتْ منه بواحدة، ولا نقول منها بقول الرّافضة، أراد: إنّهم يُبطلون ذلك»[4]. وقدْ عاش معظم حياته متخفّياً، فقدْ وشِيَ به في زمن هارون، هو والقاسم بن عليّ(أحد أبناء عمومته)، فأشخصهما إلى بغداد من الحجاز، فحبسهما موسِّعاً عليهما حبسهما عند الفضل بن الرّبيع، وقدْ هرب من السِّجن بعدما لاحظ الموكّلين به نائمين، وقيل: إنّ بعض الزّيديّة دسَّ إليهما ما جعلهما نائمين، فتوارى في دار إبراهيم الإمام في بغداد مدّة، وقدْ بلغ هارون خبره، فوضع الرَّصد في كلِّ موضع، وأمر بتفتيش كلّ دار يُتَّهم صاحبها بالتّشيّع، لكنّ أحمد أمكنه التخلّص، فمضى

إلى البصرة، فأقام بها، وهكذا حاول هارون مراراً أنْ يصل إليه، فلم يتمكَّن، وبقي متخفّياً فيها ستّين سنة، حتّى مات في ليلة الثّالث والعشرين من شهر رمضان سنة سبع وأربعين ومائتين، وقبره في البصرة، في خطّة بني كليب عمر[٥]، في شمال البصرة، في منطقة بني منصور التّابعة لقضاء المدَيْنَة.

رواياتُهُ:

١/ ما روي في التّوحيد، عن «محمّد بن إبراهيم بن إسحاق، الفارسيّ، العزائميّ، قال: حدَّثنا أبو سعيد، أحمد بن محمّد بن رمح النّسويّ، قال: حدَّثنا عبد العزيز بن يحيى التّميميّ بالبصرة، وأحمد بن إبراهيم بن معلّى ابن أسد العميّ، قالا: حدَّثنا محمّد بن زكريّا الغلابيّ، قال: حدَّثنا أحمد بن عيسى بن زيد، قال: حدَّثنا عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن، عن أبيه، عن آبائه، عن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، أنّه سُئل عن قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾، فقال: يقول عليه السلام: إنّا كلّ شيءٍ خلقناه لأهل النّار بقدرٍ»[٦].

٢/ ما روي في تأويل الآيات الظاهرة، عن محمّد بن العبّاس، قال: «حدَّثنا عبد العزيز بن يحيى، عن محمّد بن زكريّا، عن أحمد بن عيسى بن زيد، قال: حدَّثني عمّي الحسين بن زيد، وقال: حدَّثني شعيب بن واقد، قال: سمعتُ الحسين بن زيد يحدّث عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليهم السلام، عن جابر بن عبد الله، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾، قال: الحسن والحسين، ﴿وَيَجْعَل لَكُمْ نُوْرَاً تَمْشُوْنَ بِهِ﴾، قال: عليٌّ عليه السلام»[٧].

٣/ ما روي في كفاية الأثر، عن «محمّد بن وهبان بن محمّد البصريّ، قال: حدَّثنا الحسين بن عليّ البزوفريّ، قال: حدَّثنا عبد العزيز بن يحيى الجلوديّ بالبصرة، قال: حدَّثني محمّد بن زكريّا، عن أحمد بن عيسى بن زيد، قال: حدَّثني عمر بن عبد الغفّار، عن أبي بصير، عن حكيم بن جبير، عن عليّ بن زيد بن جُدعان، عن سعيد بن المسيّب، عن سعد بن مالك: أنّ النّبيَّ صلى الله عليه وآله، قال: يا عليُ، أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلّا أنّه لا نبيَّ من بعدي، تقضي ديني، وتُنجز عداتي، وتُقاتل بعدي على التّأويل، كما قاتلتُ على التّنزيل، يا عليُّ حبُّك إيمان، وبغضك نفاق، ولقدْ نبّأني اللّطيف الخبير أنّه يخرج مِن صُلب الحسين تسعة من الأئمّة معصومون مطهَّرون، ومنهم مهديُّ هذه الأمّة، الذي يقوم بالدِّين في آخر الزَّمان، كما قمتُ في أوّله»[٨].

٤/ ما روي في العيون، عن «أبي عليّ، الحسين بن أحمد البهيقيّ، قال: حدَّثنا محمّد بن يحيى الصّوليّ، قال: حدَّثنا محمّد بن زكريّا الغلابيّ، قال: حدَّثنا أحمد بن عيسى بن زيد بن عليّ، وكان مستتراً ستّين سنة، قال: حدَّثنا عمّي، قال: حدَّثنا جعفر بن محمّد الصّادق عليه السلام، قال: كان عليّ بن الحسين لا يسافر إلّا مع رفقة لا يعرفونه، ويشترط عليهم أنْ يكون من خدم الرّفقة، فيما يحتاجون إليه، فسافر مرّة مع قومٍ، فرآه رجل، فعرفه، فقال لهم: أتدرون مَن هذا؟ قالوا: لا، قال: هذا عليُّ بن الحسين عليه السلام، فوثبوا، فقبّلوا يده ورجله، وقالوا: يا بن رسول الله، أردتَ أنْ تصلينا نار جهنّم، لو بدرتْ منّا إليك يدٌ أو لسان ما كنّا قدْ هلكنا آخر الدَّهر، فما الذي يحملك على هذا؟ فقال: إنّي كنتُ مرّة قدْ سافرتُ مع قومٍ يعرفونني، فأعطوني برسولِ الله صلى الله عليه وآله ما لا أستحقُّ به، فإنّي أخاف أنْ تعطوني مثل ذلك، فصار كتمان أمري أحبَّ إليَّ»[٩].

٥/ ما روي في العيون، عن «الحاكم أبي عليّ الحسين بن أحمد البيهقيّ، قال: حدَّثني محمّد بن يحيى الصّوليّ، قال: حدَّثنا الغلابيّ، قال: حدَّثنا أحمد بن عيسى بن زيد: أنّ المأمون أمر بقتل رجلٍ، فقال: استبقني، فإنَّ لي شكراً، فقال: ومَن أنت؟ وما شكرُك؟ فقال: عليّ بن موسى الرِّضا عليه السلام، يا أمير المؤمنين، أَنشُدك الله تعالى أنْ تترفَّع عن شكر أحدٍ، وإنْ قَلَّ، فإنّ الله تعالى أمر عباده بشكره، فشكروه، فعفا عنهم»[١٠].

٦/ ما روي في حلية الأولياء، عن «محمّد بن أحمد بن حمّاد بن سفيان، ثنا محمّد بن عمران الهمدانيّ، ثنا عبد الرَّحمن بن منصور الحارثيّ، ثنا أحمد ابن عيسى العلويّ، حدَّثني أبي، عن

أبيه، قال أحمد بن عيسى: وحدَّثني ابن أبي فديك، عن عبد الله بن محمّد بن عمر بن عليّ، قال: كنتُ جالساً عند خالي محمّد بن عليّ، وعنده يحيى بن سعيد وربيعة الرّأي؛ إذ جاءه الحاجب، فقال: هؤلاء قوم من أهل العراق، فدخل أبو إسحاق السّبيعيّ، وجابر الجعفيّ، وعبد الله بن عطاء، والحكم بن عيينة، فتحدّثوا، فأقبل محمّد على جابر، فقال: ما يروي فقهاء أهل العراق في قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾، ما البرهان؟ قال: رأى يعقوب عليه السلام عاضّاً على إبهامِهِ، فقال: لا، حدَّثني أبي، عن جدّي، عن عليٍّ بن أبي طالبٍ رضي الله تعالى عنه، أنّه همَّ أنْ يحلَّ التِّكَّة، فقامتْ إلى صنمٍ مكلَّلٍ بالدُّرِّ والياقوت في ناحية البيت، فسترته بثوب أبيض بينها وبينه، فقال: أيّ شيءٍ تصنعين؟ فقالتْ: أستحي من إلهي أنْ يراني على هذه الصُّورة، فقال يوسف عليه السلام: تستحين مِن صنمٍ لا يأكل ولا يشرب، ولا أستحي أنا من إلهي الذي هو قائمٌ على كلِّ نفسٍ بما كسبتْ، ثمّ قال: والله لا تنالينها منّي أبداً، فهو البرهان الذي رأى»[11].

٧/ ما روي في الكافي، عن «عليّ بن إبراهيم، رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام، قال: طلبة العلم ثلاثة، فاعرفهم بأعيانهم وصفاتهم: صنف يطلبه للجهل والمراء، وصنف يطلبه للاستطالة والختل، وصنف يطلبه للفقه والعقل، فصاحب الجهل والمراء مؤذٍ ممارٍ متعرِّضٍ للمقال في أندية الرِّجال بتذاكر العلم وصفة الحلم، قدْ تسربل بالخشوع وتخلّى من الورع، فدقَّ الله من هذا خيشومه، وقطع منه حيزومه، وصاحب الاستطالة والختل، ذو خبٍّ وملق، ويستطيل على مثله من أشباهه، ويتواضع للأغنياء من دونه، فهو لحلوائهم هاضم، ولدينه حاطم، فأعمى الله على هذا خبره، وقطع من آثار العلماء أثره، وصاحب الفقه والعقل ذو كآبةٍ وحزنٍ وسهرٍ، قدْ تحنَّك في برنسه، وقام اللّيل في حندسه، يعمل ويخشى، وجلاً داعياً مشفقاً، مقبلاً على شأنه، عارفاً بأهل زمانه، مستوحشاً من أوثق إخوانه، فشدَّ الله من هذا أركانه، وأعطاه يوم القيامة أمانه.

وحدَّثني به محمّد بن محمود، أبو عبد الله القزوينيّ، عن عدّة من أصحابنا، منهم جعفر بن محمّد الصّيقل، بقزوين، عن أحمد بن عيسى العلويّ، عن عبّاد بن صهيب البصريّ، عن أبي عبد الله عليه السلام»[12].

٨/ ما روي في أمالي الشّيخ، عن «الحسين بن عبيد الله، عن أبي محمّد هارون بن موسى، قال: حدَّثنا محمّد بن عليّ بن معمر، قال: حدَّثني حمدان ابن المعافَى، عن حمويه بن أحمد، قال: حدَّثني أحمد بن عيسى العلويّ، قال: قال لي جعفر بن محمّد عليه السلام: إنّه لَيعرض لي صاحب الحاجة، فأبادر إلى قضائها؛ مخافة أنْ يستغني عنها صاحبها، ألا وإنّ مكارم الدّنيا والآخرة في ثلاثة أحرف من كتاب الله ﷻ: ﴿خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِيْنَ﴾، وتفسيره أنْ تصل مَن قطعك، وتعفو عمَّن ظلمَك، وتُعطي مَن حرمَك»[13].

الهوامش

١- مقاتل الطالبيين: ٤٩٢/١، وذكر فيه قصّة اختفائه عن الرّشيد في البصرة.
٢- الوافي بالوفيات: ١٧٨/٧.
٣- مسند زيد: ١٢-٢٢.
٤- الأحكام: ٤٤٩/١.
٥- يُنظر: مقاتل الطالبيّين: ٤٠٨ -٤١٤، وشرح الأخبار: ٣٣١/٣، وشرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ١٤٨و ٢٩١/١٥، والفرح بعد الشّدّة: ١٤١، والمجدي في أنساب الطالبيّين: ١٨٨، وسِير أعلام النّبلاء: ٢٩٣/٩، والأعلام، للزِّركلي: ١٩١/٢.
٦- التّوحيد: ٣٨٢ /ح ٣٠.
٧- تأويل الآيات الظاهرة: ٦٤٣.
٨- كفاية الأثر: ١٣٤.
٩- عيون أخبار الرّضا عليه السلام: ١٤٥/٢/ح١٣.
١٠- عيون أخبار الرّضا عليه السلام: ١٦٥/٢/ح٢٧.
١١- حلية الأولياء: ١٨١/٣.
١٢- الكافي: ٤٩/١/ح٥.
١٣- الأمالي: ٦٤٤/ح٢٣.



صَعصَعةُ بنُ صَوْحان العَبْديُّ البصريُّ

الشخصيّةُ الترابيّةُ الشجاعةُ المُخلصة

الشيخ الدكتور: محمود العيداني

صَعصَعةُ بنُ صَوْحان بن حجر بن الحارث بن الهجرس بن صبرة بن حدرجان بن عساس بن ليث بن حداد بن ظالم بن ذهل بن عجل بن عمرو بن وديعة بن أقصى بن عبد القيس بن أفصى ابن جديلة بن دعمي بن أسد بن ربيعة بن نزار[1]، من قبيلة عبد القيس[2]، القبيلة البصريّة المعروفة بولائها الكامل وإخلاصها التام لأمير المؤمنين عليه السلام؛ في البصرة، سيّدٌ من سادات العرب، وعظيمٌ من أقطاب الفضل والحَسَب، وكنيته أبو طلحة[3]، وله أخوان باسم زيد وصَيحان، وهما من شيعة الإمام علي عليه السلام، جاهدا معه، واستشهدا في معركة الجمل[4].

ذكر الشيخُ المفيدُ أنَّ صعصعةَ كان من كبار أصحاب الإمام عليٍّ عليه السلام [5]، وذكر ابنُ قتيبة وهو من علماء القرن الثالث للهجرة - أنَّ صعصعةَ من أشهر شخصيّات الشيعة[6]، وأورد المسعوديُّ في مروج الذهب أنَّ الإمام عليّا عليه السلام عدَّ صعصعةَ من كبار العَرب، وفي مقدمة أصحابه[7]، وبناء على رواية نقلها الكلينيُّ أنَّ الإمامَ عليّاً عليه السلام اختارَه شاهداً على وَصيّته[8].

شاركَ في تشييع جنازة الإمام علي عليه السلام، وبعد الدفن أتى إلى قبره، وَحَثى الترابَ على رأسه وهو يبكي ويذكر فضائله عليه السلام، وقد سَأل اللهَ أن يجعلَه من محبّيه وأتباعه[9]، وكان

يعتقد أنَّ الخلافة لا تزان إلا بالإمام علي عليه السلام، وأنَّه عليه السلام من زانَ الخلافةَ وما زانته، ورفَعَها وما رفعته، وهي أحوج إليه من حاجته إليها[10].

ومن أعظم مواقفِ صعصعةَ العبديّ البصريّ علاوة على مشاركته في حروب أمير المؤمنين عليه السلام ما نقله ابنُ بكّار الضبّيّ في كتابه (أخبارُ الوافدين من الرجال من أهل البصرة والكوفة على معاوية بن أبي سفيان)؛ فإنه يعبّر عن جَلَد هذه الشخصية البصرية العظيمة، وأخلاقها، وصبرِها، وشجاعتِها، وفنائها في حب مولاه أمير المؤمنين عليه السلام؛ فقد نقل هناك وفودَه على مُعاوية في الشام أيّام مُلكه، فقال:

«دخلَ من بعد أهل الْكُوفَة صعصعةُ بنُ صوحان الْعَبْديّ، وَكَانَ من جملَة الْبَصريين الوافدين، فَلَمَّا دخل عَلَيْهِ وَرَأى الرِّجَال عَلَيْهِم السِّلَاحُ، قَالَ: لَا إِلَه إِلَّا الله، سُبْحَانَ الله، وَالله أكبرُ، فَالْتَفت مُعَاوِيَةُ يَمِينا وَشمَالًا فَلم يرَ مَا يكرههُ، فَقَالَ: يَا بنَ صوحان، مَا أظنُّك تعرفُ الله تَعَالَى، قَالَ: بلَى، إنّه رَبِّي وَرب آبَائِي الْأَوَّلين، يحيي وَيُمِيتُ، وَهُوَ بالمرصاد، كَبِيرٌ متعالٍ، وَمِن وَرَاء العباد، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: كنتُ أحبُّ أن أراكَ فِي هَذَا الْمقَام؛ حَتَّى يصيبَك ظِفْرٌ من أظفاري، أهدي بِهِ نَفسي مِمَّا تَجدهُ مِنْك وَمِن مراراتٍ أدخلتَها بكلامِكَ وَصِدقِ قتالِك يَوْمَ صفّين على قلبي، وَلَقَد كنتُ أتوقّعُ عُذرَك يصلُني مَعَ التّرغيباتِ الَّتِي رغّبْتك علّني أُقاسِمُكَ شَطرَ قَلبي، فَمَا فعلتَ.

فَقَالَ لَهُ صعصعةُ: وَكَذَلِكَ كنتُ أَنا أَقُول: أنْ لَا تقعدَ هَذِه الْقَعْدَة، وَلَا تستعيرَ هَذِه الْعَارِيةَ، وَلَقَد فرحتُ لَكَ؛ لِأَنَّهُ مقَامٌ يورثُك النَّارَ فِي لَظى الخُلود السّرمَدِ، وَقد كنتُ أحبُّ أن لَا احيّيكَ بِهَذِهِ التَّحِيَّةِ حَتَّى تَفِيَ مقاديرُ اللهِ تَعَالَى فِيكَ.

وَأمّا قَوْلُك: لَو عَذَرتَ لقاسمتكَ شطرَ دولتِك، فَإِنّ رَسُولَ الله صلى الله عَلَيْهِ وَ [وآله] وسلّم لوفائي لَهُ، وحفظي وَصيَّتَه، وتَلَزُّمي بسنَّتِه، فَيكونُ أَمْرِي فِي دولته ومملكته كأمرِه، وَمَا عِنْد الله خيرٌ وأبقى للأبرار.

فَالْتَفت مُعَاوِيَةُ إِلَى عَمْرو بن الْعَاصِ، وَقَالَ لَهُ: أوسع لخالِكَ حَتَّى يجلس إِلَى جَنْبك، فَقَالَ عَمْرو: لَا أوسعُ لَهُ؛ إِنَّهُ تُرابِيٌّ، فَقَالَ صعصعةُ: أجل وَالله، من التُّرَاب خُلقتُ، وَإِلَيْهِ أَعُودُ، وَمِنْه أبْعثُ، وإنّك يَا بنَ الْعَاصِ نَارِيٌّ، من النَّار خُلقتَ، وإليها تعودُ، فَضَحِك مُعَاوِيَةُ حَتَّى اسْتلْقى على صفحته، ثمَّ عَاد فَقعدَ وَقَالَ: يَا بن صوحان، إنّما أنتَ تَهزلُ بلسانكَ، وتفرحَ سلطانَك، وَمَا تنظر فِي الْأُمُور وَالْأَيَّام ونوادرِ الْكَلَام، وَاللهِ، لقد هَمَمْتُ أن أحملك خَطْبَ الْعراق.

فَقَالَ: وَاللهِ، لَو رُمْتَ ذَلِك، لغزوتُك فِي مائَة أَمْرَد على مائَة ألف أجرد، فَامْتَلَأَ مُعَاوِيَةُ غَيظاً، وأطرق طَويلاً، وَرفع رَأسه، وَقَالَ: لقد أكرمَ اللهُ قُرَيْشًا إذ يَقُول لنَبيه مُحَمَّد صلى الله عَلَيْهِ [وآله] وَسلّم: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾، فَقَالَ لَهُ صعصعةُ: وَمَا قَالَ اللهُ: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾، أمّا القَوْلُ الأوّلُ، فلرسول اللهِ، ولقومِهِ من قرَابَتِه وَذرّيّته، وَأمّا القَوْلُ الثَّانِي، فَلكَ ولقَومكَ وَمن شاكَلَهم.

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: قَاتلكَ اللهُ، لقد غلبتَني، أُسْكَتْ لَا أمَّ لَك، فَمَا أعجلَ جوابَك، وأصعبَ خطابَك، مَا أظنُّك منتهياً حَتَّى أُفَرِّقَ بَين روحِكَ وجَسَدِك.

قَالَ لَهُ صعصعةُ: لَيْسَ ذَلِك إليكَ؛ إنّما ذَلِك بيد مَنْ لَا يُؤَخّر نفساً إِذا جَاءَ أجلُهَا.

فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: لقد فقَّهَكم عَليُّ بنُ أبي طَالب، مَا تركْتُم حُجَّةً، فَلَنْ تُطاقوا، وَلَوْلَا أنّني لم أجرّع بجرعة افضل من جرعة غَيظ، لم أمكِّنْكَ من الحيَاة»[11].

سلامُ الله تعالى عليكَ يا أميرَ المؤمنين، ورضوان الله على تلاميذِك الأوفياء، الفقهاء بما فقَّهتَهم، حيّهم وميّتهم.

الهوامش

١- ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٢٩٧.

٢- ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٢، ص ٤٠٣.

٣- ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٢٤٤.

٤- ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٢، ص ٧١٧. وإبراهيم بن محمد الثقفيّ الكوفيّ، الغارات، ج٢، ص٨٨٧.

٥- ينظر: ابن قتيبة، المعارف، ص ٦٢٤.

٦- ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٣٨.

٧- ينظر: الكليني، الكافي، ج ٧، ص ٥١.

٨- ينظر: المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٢، ص ٢٩٥.

٩- ينظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٧٩.

١٠- ينظر: المفيد، الجمل، ص ٤٧٥.

١١- ابن بكّار الضبّيّ، أخبارُ الوافدين من الرجال من أهل البصرة والكوفة على معاوية بن أبي سفيان، ص٢٩ - ٣١.

غَيلانُ* وَالصّمت



(كتبت في الذّكرى الثّانية لوفاة بدر شاكر السّيّاب)

شاكر العاشور**

بلا أَمَلٍ

يُطارِدُ صوتُكَ الصَّمتا،

وَتفترسُ الدُّرُوبُ حذاءَكَ الهاري،

وَتجمدُ في المرافِئِ...

... ترقَبُ الصّاري

عُيُونٌ مِنكَ... تحلُمُ: رُبَّما بابا

سيَبزغُ من خلالِ شِراعِهِ،

وتلوحُ كفّاهُ

بما أَوصَيْتَهُ فيهِ.

فَما غيرُ الرِّياحِ سَيَسمعُ الصّوتا.

رياحٌ دونَ أَمطارٍ، تُهَوِّمُ في دُجى جيكور،

تقلعُ- للصَّدى- بابا.

وَما يأْتيكَ غَيرُ الصَّمْتِ...

... صَمتِ جَحافلِ الأَقنانْ

تُغَمْغِمُ: ما رَأَيناهُ.

أَغَيلانٌ... أَما خُبِّرتَ يا غيلانْ

بأَنَّ أَبكَ لَمْلَمَ في الدُّجى قَلْبَهْ،

وَراحَ يَطُوفُ.. يَبحثُ في بقايا الصَّخْرِ عَنْ أُمٍّ تُناديهِ؟

لقد صَدَأَ الجَوابُ، فَلا غَداً آتي،

ولا وَلَدي الحبيبُ، ودونما صَوتِ

يموتُ لكَ الجوابُ، فلستَ تلقاهُ.

فيا غَيلانُ... عُدْ للبيتِ يا غَيلانْ،

لِأُمِّكَ، للصَّبايا يرتقبنَ اللَّيلَ في لهفَةْ،

كما كانتْ تُسَمَّرُ عند بابِ البيتِ والشُّرفَةْ

لتقنصَ وَجهَ بابا، أَوْ هداياهُ

من الأَعنابِ من جيكورَ، والأَزهارِ، والرُّمّانْ

عيونٌ منكَ....

... فارجعْ إِنَّكَ الأَمَلُ.

لقد صَدَأَ الجَوابُ، فَلا غَداً آتي،

ولا وَلَدي الحبيبُ، ودونما صَوتِ

يموتُ لكَ الجوابُ، فلستَ تلقاهُ.

فيا غَيلانُ... عُدْ للبيتِ يا غَيلانْ،

لِأُمِّكَ، للصَّبايا يرتقبنَ اللَّيلَ في لهفَةْ،

كما كانتْ تُسَمَّرُ عند بابِ البيتِ والشُّرفَةْ

لتقنصَ وَجهَ بابا، أَوْ هداياهُ

من الأَعنابِ من جيكورَ، والأَزهارِ، والرُّمّانْ

عيونٌ منكَ....

... فارجعْ إِنَّكَ الأَمَلُ.

---

* ابنُ الشّاعر السّيّاب.

** شاكر العاشور شاعر بصري.



الأفعى ذاتُ القَرنَين

د. عبد الجبّار عبّود الحلفي

صَحَتْ القريةُ على صُراخٍ غيـــرِ مَعهود: آه.. آه.. أنقـــــــــــذوني.. أنقذوني.. النجدة...

كان هذا صراخ (دُوحيٍّ)، المصابِ بخَللٍ في الدِّماغ.

هَرَعَ البعضُ من الشباب نحوَه متسائلين عن سبب صُراخه وهرولته من جانبِ النهر.

قال لهم بعينين جاحظتَين وهو يُشير بإصبَعه المرتعشةِ:

- الأفعى ذاتُ القَرنَين هناك على شجرة السِّدرِ نَفَخَت عليَّ، وكادت تحرقُ وَجهي !!!

دوحي هـــــــذا البالغُ من العمر ثمانيةَ عَشَرَ عاماً، رُغم جَهله وقصورِ عَقله، لكنّه كان متَّزناً. لم يصدِّقْه أحدٌ في ادّعائه؛ فقريةُ (نَهْرِ حَسَن) الراقدةُ على ضِفافِ شَطِّ العَرَب تنعمُ بالهدوء، وأهلُها مزارعونَ أشدّاءُ نشيطين في زراعة مختلف الخُضروات. خاصّة الخسَّ والريحانَ والكَرَفْسَ والنَّعْناع، وحتّى غِذاءُ الحيوانات، البَرسيم.

وتحتضنُ القريةَ غاباتُ النخيلِ، ولعلَّ بعضَ الأهالي يشاهدون أفعى، لكنّها من دون قَرنين.

قال رجلٌ طاعنٌ في السنِّ خالفَ الآخرينَ، قال وهو يُفرقعُ أصابعَه النحيفةَ:

- ربّما كانَ (دوحي) صادقاً.

ثمَّ أسندَ ظهرَه الى جدارِ الطينِ متخيِّلاً أفعى بقرنين.

قال أحدُ الواقفين متهكِّماً: ضاعَت الحقيقةُ.. لا نعرفُ من المجنونُ، (دوحي) أم هذا، مشيرا الى الرجل الطاعن في السنّ.

أضافَ الرجلُ الطاعنُ في السنِّ وهو يمسكُ بلحيته البيضاءِ الكثّةِ: في صبايَ رأيتُ هكذا أفعى تتسلّقُ شجرة البَمْبَرَ على (نَهر حَسَن)، عُدتُ الى المنزل مهرولاً لأخبرَ أبي. لم يصدّقني. لكنَّ المختارَ الحاجَّ نوري وجدوه ميتاً قربَ تلك الشجرة في

ظهيرة أحد الأيّام وقد كانت الريحُ شرقيّةً ثقيلةً على النَّفس. ظنَّ البعضُ أنَّ جِنّيّاً قَتلَه.

هنا في قرية (نهر حسن) كثيرون مَرَّت حكاياهُم.. خَرْبشاتٍ على حائطِ الذكريات.

****

أسدلَ الليلُ ستائرَه الكثيفةَ على القرية. ليس هناك في البرّيّة المجاورة للقرية سوى عُواءِ ذئبٍ بعيدٍ وصوتِ ثعلبٍ بينَ النخيل ذاتِ الأكْمام.

والنسوةُ يتعوَّذْن باللهِ العلـــــيِّ العظيمِ من شرِّ تلكَ الأفعى ذاتِ القرنين، التي ادعى دوحيٌّ أنه رآها.

دوحيٌّ وحدَه نامَ من دون أَرَق، يعتقد أنَّه عندما يتحدَّث الى نفسه، يصبحُ هو المَلِك. وهو المُسيطر، وكلُّ الأشياء تُصغي إليه... هو الرجل الفذُّ.. وما تبقّى من الرجال ليسوا سوى ظلالٍ عابرةٍ.. أو أرواحٍ ضائعةٍ.. خائرة.

كانَ ثقيلَ الوَزن الى حدٍّ ما، تكاد ملابسُه تضغطُ على جِسمِه وشعرِه المجعَّدِ الكثيفِ مثلَ باقةِ خُضارٍ عتيقةٍ. كان مطيعاً دائماً، لكنّه في بعض الأحيان لم يكن سَريعاً في استجابته بالدرجة التي تُرضي الآخرين.

لكنّهُ كانَ على خلافِ الآخريـــــــنَ يُصغي للغرابِ ينعقُ فوق الشّجرة، ويقول لمن يخالفه الرأيَ: هو طائرٌ خلقه اللهُ تعالى، فَلِمَ تتشاءمُ منه الناسُ؟

****

في الصباح الباكرِ قَصَدَ أحدُ الفلّاحينَ شجرةَ السِّدر التي أشارَ إليها دوحيٌّ، تجمَّدَت قدماهُ على خُطُواتٍ منها.. وجَحَظَت عيناهُ مندهشاً.. يرتجفُ.. وقد انحَبَسَت أنفاسُه.

كانَت الأفعى تَستوي على أَحَد الأغصانِ الغليضةِ للشجرةِ، ركَّز عينيه على رأسِها متسائلاً: هل لها قُرون ؟

لا.. لِمَ ليسَ لها قرون..

أفعى طويلةٌ.. مرقَّطةٌ تَدَلّى طرفُها من الغُصن.

تراجعَ الى الخَلف بخُطُوات متباعدةٍ حذرةٍ محدِّثاً نفسه:

الأفاعي لا تهاجمُ إلّا من يهاجمُها.. من الأفضل أن أتوجَّهَ الى مزرعتي لكي أسقيَ الخُضارَ.. والبرسيمَ.. فالنهر فائضٌ بالماء الآن.

****

قبل سنتين من رؤية دوحيٍّ للأفعى ذات القرنين، إستيقظ سكّانُ القريةِ على صُراخٍ مجهولٍ عند ضوء الوَهْج الأخيرِ من الفَجر، هَرَعَ بعضُهم نحوَ مَصدر الصُّراخ، وجدوا دوحيّاً يتلوّى من الألم على الأرض، وينزفُ دماً من ساقه. سألوهُ: ماذا حدثَ لكَ، قال: لَمَحتُ خنزيراً قرب النّهر ظننتُه نائماً، لكنَّه داهمَني، فأغرزَ أحدَ قرونه في ساقي.

سَكَنَت قريةُ نهرِ حَسَن، لم يصدّقوهُ آنذاكَ رُغمَ دُخول الخنازير الى قريتهم بين الحين والآخر.

كان من عادة دوحيٍّ أن يعودَ الى المنزل قُبَيلَ صلاة الظهرِ بعدما يقومُ بجولة بين بساتين القرية؛ ليؤدّيَ صلاةَ الظهر.

لكنَّه هذه المرّة تخلَّفَ عن العَودة. ظلَّت أمُّه حبيسةَ القَلَق، نادت أباه:

- دوحيٌّ ليس من عادته أن يتخلَّفَ عن العَودة في مثل هذا الوقت.

أجابَها بصوتٍ ينمُّ عن الألم والذعر الشديدِ:

- سأخرج الآن لأستطلعَ الموقفَ.. أنا قلقٌ أيضاً.

في هذه اللحظات تناهى الى سمعه لغوٌ خارجَ المَنزل. فتحَ البابَ المصنوعَ مـــــــن الصَّفيح. رأى بعضَ الأهالي يتَّجهون نحو النَّهر.. نظر إليهم نظرةً عاجلةً.. وأسرَعَ باتّجاههم.

الأهالي يَهرَعون باتّجاه صُراخ أحدِ الصبيةِ. كان واقفاً متسمِّراً قرب حافَّة النهر.

سألوه: ممَّ تخافُ.. لماذا تصرخُ ؟

أزاحَ كفَّيهِ عن عينيهِ.. أشارَ إليهم باتّجاه النهر وهو يرتعشُ. ربطت الدهشةُ ألسنتَهم.. وجَحَظت عيونُهم.

أسرعوا باتّجاه النهر.

كان دوحيٌّ مطروحاً على ضفَّة النهر وقدماه غاطِستان في الماء، وإلى جانبه أفعى ضخمةٌ بقَرنين، فاتحةً فمَها كأنَّها تضحكُ. وقد تلوَّثَ جسمُها ببعض الطين.



محلّةُ البجّاريّ

الاستاذ كريم علاوي

سُمِّيت محلّةُ البجّاريّ نسبة إلى الحاج (إبراهيم البجّاريّ) الملّاك الكبير، وصاحب بواخر النقل المائيّ، الذي يسكن المحلّة، وداره الكبيرة ما تزال موجودة، وكان عضواً في مجلس النوّاب، وأولادُه: (خليل) الذي تخرّج من إنكلترا، وأسّس معملاً للألبان، وهو أوّلُ معملٍ في البصرة، وربّما في العراق، وقدْ اغتيل من قبلِ روسيّينِ كانا هاربينِ من الاتّحاد السُّوفيتيّ، عندما كان ذاهباً إلى المعمل، واستولَيا على سيّارته، وابنُه الآخر (عبد الصّمد) كان ضابطاً، وأُصيب في فلسطين، وأُحيل على التقاعد، و(إسماعيل) صاحب معمل ألبان البجّاريّ، وابن أخيه المحامي (عبدالهادي)، وكان عضواً في مجلس النوّاب، وعضواً في الحزب الوطنيّ الدّيمقراطيّ، وصاحب (جريدة النبأ)، وابن أخيه (الدّكتور شاكر)، الذي كان رئيساً لصحّة البصرة.

الحقيقة، إنّ اسم محلّة البجّاريّ الصّحيح هو (محلّة العشّار)؛ لأنّها مركز لمنطقةِ العشّار، وقدْ سُمِّي قسمٌ منها بـ(محلّة البلوش)، وأتذكّرُ -حينذاك- أنَّ المنطقةَ المقابلةَ لمحافظة البصرة القديمة كانَ فيها عددٌ كبيرٌ من الصّرائف التي يسكنها (البلوش)، وكانت أوراقُ أجور الكهرباء لبيتنا يُذكَر فيها (محلّة البلوش)، مع العِلم أنّ بيتنا في وسط محلّة البجّاري، وكان (البلوش) يقيمونَ مأتماً للعزاء مساء يوم العاشر من محرّم، وبعد (قراءة الملّا) يبدأُ اللّطم على الصُّدور، ومِنَ الرّدّات التي أتذكّرُها وأحفظُها، (كناري مصطفى.. كناري مصطفى.. أيسري خنزه خنزه بي.. كناري مصطفى)[1]، ولا أعرف ترجمتها إلى الآن، وبعد إزالة الصّرائف سُمِّي شارعُنا (شارع المهندسين)، وإنّي أتذكّر جيّداً أنّهُ لا يوجدُ فيه مهندسٌ واحدٌ، ويسكن المحلّة (السيّد باقر الطباطبائيّ الحكيم)، رجلُ

الدّين الكبير، وإمام جامع المقام؛ وقدْ كانت أعمالُه جليلة في مساعدة النّاس، واختير بعده (السيّد سعيد الطباطبائيّ الحكيم)، وقدْ شيَّدَ ديواناً يستقبلُ فيه النّاس صباحاً ومساءً، واختير بعده ابنُه (أحمد)، الذي اغتاله النظام السّابق، ويسكنُها الشّيخ (عبد المهديّ المظفّر)، رجلُ الدّين المعروف، ومِن مواقفِه بالنسبة للبصرة، تمكّنه مِن إيقاف (الفرهود) في العشّار عند دخول القوّات البريطانيّة البصرة سنة (١٩٤١م)، وقدْ شارك في ثورة العشرين، ونُفِي بعد ذلك مع أخيه إلى الهند، ولكن تدخُّل الشّيخ (خزعل) منع من ذلك، وقدْ شَيّد جامع المظفّر، ولكنّ المنيّة وافته قبل إنجازه، واختير بعده ابنُه الشّيخ (محمّد حسن)، الذي تمكّن مِن إنجاز بناء الجامع، وكان للشّيخ مواقفُ كبيرةٌ وخدماتٌ جليلةٌ، وكان صُلْبَ العُود قويَّ الشّكيمة، لا تأخذه في الحقِّ لومة لائم. ويسكنُ المحلّة -أيضاً- الحاج (حمود الباشا الملّاك الحلفيّ)، وقدْ قدّم الحاج (حمود) خدمات إلى الحكومة العثمانيّة، فأنعمتْ عليه بالباشاويّة، وهو أوّلُ رئيس بلديّة في العشّار، وقدْ شيّد جامعاً باسمه في العشّار، وما يزال موجوداً، وبجانبه حسينيّة كانت ملجأً للفقراء، وكانت أمّ البروم مقبرة تعود لأملاكه، وبعده أولاده: (عبّود، وحبيب، وعبدالجبّار)، كانوا نوّاباً في العهد الملكي. ويسكنُ المحلّة -أيضاً- الحاج (موسى العطيّة)، صاحب الأسواق المسمّاة باسمه، معتمد الشّيخ (خزعل) في البصرة، وبعده الحاج (حسني) عضو المجلس التأسيسي، والحاج (عبد الواحد هاشم)، و(محمّد). وتسكنها عائلة البدر، الحاج (كاظم) وأولاده: (جواد، وعبّود، وعبد النبيّ، وسليم، ومكّي، وجعفر- الذي كان رئيساً للحزب الوطنيّ الديمقراطيّ في البصرة، ونائباً في مجلس النوّاب). وتسكنها عائلة الحاج (مهدي الهوّاز)، وكانت داره على شكل طاق. ويسكنها (محمّد خلف العبد الواحد)، وكانت دارُه على ضفاف نهر العشّار ذات القبب، وفي المحلّة عددٌ كبيرٌ من بيوت الحلاف، (الحاج داود، وعبد الرزّاق السّلمان، والحاج علي الطاهر، والحاج حبش، وعلّاوي، وجعفر الحميدي، والحاج ياسين، وراضي، ومهدي، وعبّاس الإبريسم، والمحامي عبد الجبّار كريم، الذي أُعدم من قبل النظام السّابق بحجّة التجسّس، والحاج أحمد عبد النبيّ، والحاج طلال، والحاج فيّاض). وتسكنها عائلة (إبراهيم الحاج عيسى)، ومِن ضمن داره ديوانيّة مفتوحة طول أيّام السّنة، ويُقام فيها خلال شهر رمضان مأتماً للعزاء. ويسكن المحلّة -أيضاً- الحاج (محمود فخر الدّين) التاجر المعروف صاحب (حسينيّة فخر الدّين)، الموجودة حاليّاً، ويسكنها المربّي الأستاذ (عبد الحميد تقي)، والد السيّد (عادل). وتسكنها عائلة القرناويّ والمطوريّ والعرّادي وعطا الخضيريّ، وتسكنها عائلة ياسين العيداني، المسؤول عن شراء الحبوب في منطقة الفرات الأوسط إلى شركة (إندروير). وفي المحلّة (شركة سُورين) والسّاعة التابعة لها، و(مدرسة المقام الابتدائيّة) للبنين، و(مدرسة خديجة الكبرى) للبنات. وفيها شركةُ (عبد الجبّار الخضريّ) للنقل المائيّ. وفي المحلّة أُسِّس نادي الاتّحاد الرّياضيّ سنة (١٩٣٧م). وفي المحلّة مكتب (عبد الله الصّقر) وإخوانه. وفي المحلّة تسكن (زعفران). وفي المحلّة عددٌ كبيرٌ من الرّياضيّين: (عبد الحميد تقي، وياسين سكاج، وحسن بريسم، وحمّودي وحسن ونوري البدر، وجواد كاظم، وعبد علي مسلم، وعبّود علي حجازيّ، وكريم، وعبد الأمير العطيّة، وعبد الوهّاب، وخيري، وعبدالله داود الحلفيّ، وقدري، وخالد الشّلال، وعبد الرزّاق طاهر، وإسماعيل البجّاريّ، وكامل الكاظميّ، وكريم علّاوي، وشاكر، وسليم إسماعيل، والسيّد محمّد السيّد باقر الحكيم، وحسني مرزه، وعبد الله رشيد، وفائق العيدانيّ).

وأخيراً، في المحلّة (قهوة حبش)، و(قهوة التانكي)؛ إذْ كانَ خزّان ماء العشّار في أمّ البروم.

الهوامش

١- مضمون ترجمتها بالعربيّة: إلى جنب المصطفى.. إلى جنب المصطفى.. جعل صبيّه إلى جنبه.(النّاشر).



شَعْوانةُ البَصْرِيّةُ

أنموذجُ التوبةِ والهروبِ إلى الله

ياسين يوسف اليوسف

قالَ سبحانه وتَعالى في محكم كتابه العَزيز: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾[1].

وقال خاتم الأنبياء وأشرفهم ﷺ: «ليسَ شيءٌ أحبَّ الى الله منْ مؤمنٍ تائبٍ أو مؤمنةٍ تائبةٍ»[2].

وعنه أيضا: «التائبُ حَبيبُ الله، والتائبُ من الذنب كَمَنْ لا ذنبَ له»[3].

وقال مولانا الباقرُ عليه السلام: «إنّ اللهَ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِن رَجل أضلَّ رَاحِلَتَه وزادَه في ليلة ظَلْماء، فوَجدَها... فاللهُ أشدُّ فَرحاً بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وَجَدها»[4].

وخلالَ تتبُّعنا للتاريخ، نصادفُ الكثيرَ من القصص والحكايات في مجال التوبة والأوْب إليهِ تعالى بعدَ التَّيْه والضلال، ومن بين هذه القصص قصّةُ تلكَ المرأةِ البصريّةِ التي تركتْ أثراً مشوّقاً وبصمةً جميلةً وعبرةً تبعثُ الأملَ في قلوب العاصين والمذنبين، تلك قصّةُ شَعْوانةَ البَصْريّة.

كانت شَعوانةُ امرأةً مشهورةً في البصرة بالتهتُّك والغِناء و...، وما كانَ مجلسُ فساد يقام إلّا وفيه المرأةُ... كانت تسير ذات يوم هي وجواريها في أحد الأزقّة، وصادفَ أنْ مرّت ببابِ أحد الزهّاد في ذلك العَصر، فتناهى إلى سمعها صوتُ بُكاءٍ وعويلٍ منْ داخل الدار.

أرسلت شَعوانةُ إحدى جواريها لتأتيَها بخبر ما يجري داخل الدار، وأمرتها أن تعود إليها سريعاً.. وقالت تحدّثُ نفسَها: لعلَّ في البصرة عزاءً ونحن لا ندري.. ودخلت الجاريةُ الدارَ، ولم تعُد، فأرسلت وراءَها جاريةً أخرى، إلّا أنّها لم تعُد هي الأخرى.. وأرسلت من بعدهما سائرَ الجواري، ولم تعد إليها أيّةُ واحدة منهنّ، غضبتْ، وقالت: ما الخبر ؟!.. أرسلتُ جميعَ الجواري ولم تعد منهنَّ واحدةٌ، لا بدّ وأنَّ هنالك سرّاً في هذه الدار، وما هذا العزاء بعزاء أموات، وإنّما هو عزاء الأحياء، هذا عزاء المُذنبين، العاصين، المُجرمين، وأصحابِ الصحائفِ السّود.. وقرّرت أخيراً أن تدخل الدار بنفسها؛ لتطّلع على حقيقة الأمر.

دخلت شَعوانةُ الدارَ، وإذا بها تجدُ رجلاً صالحاً على المنبر، وناساً كثيرين حول المنبر يبكون، كان الواعظُ يفسّر لهم الآيةَ الكريمةَ: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيراً﴾[٥]، وأنّهم اذا أُلقوا فيها، تُربطُ أعناقُهم بسلاسلَ من حديد، ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾[٦]، فيناديهم مالكٌ: ويحَكم !.. سرعانَ ما تعالَت أصواتُكم، لازلتم في البداية، وهل رأيتم حَرَّها ؟.. إنَّ وراءَكم عذاباً وآلاماً أكثر، فكيف ستفعلون ؟!

ما إنْ سَمعَتْ شعوانةُ تفسيرَ هذه الآية، حتّى استشعرتها في أعماق قلبها، وأخَذَت تبكي، ونادت: وهل إذا تابَ العبدُ تُقبلُ توبتُه مع هذه الذنوب كلّها، ويجعل له تعالى مكاناً عنده في الجنّة ؟

قال لها الشيخُ: اللهُ أرحمُ الراحمين، توبي، يتُب اللهُ عنك، وإنْ كانت ذنوبُك كذنوبِ شَعْوانَةَ.

لحظةُ تأمّل

في هذه اللحظة عينها تأمّلَت شعوانةُ وهي تكلّم نفسَها: أأكون مَثَلاً للفاسقين ؟!... أيُضرب بي المثلُ للعاصين؟!... فلمَ لا أكون من التائبين؟!

قالت: يا شيخُ، أنا شَعوانةُ، تبتُ إلى الله، ولن أعاود ارتكابَ الذنوب.

قال لها: ما دمْتِ قد تبتِ، تابَ اللهُ عليك، وغفرَ لكِ ذنوبَك.

تابت شعوانةُ توبةً صادقةً، فأنفقت ثروتها التي حصلت عليها من هذا العمل كلّها، وأعتقَت غلمانها وجواريها كلّهم، واتّخذت لنفسها صومعةً في الصحراء، وانهمكت بالعبادة والرياضة إلى أنْ ذابَ لحمُها.

جاءَت ذات يوم إلى الحمّام لتغتسلَ، فنظرت إلى بدنها، فوجدت نفسَها قد صارت ضعيفةً قد لصقَ جلدُها بالعظم، فتَحسَّرَت، وقالت: آهٍ يا شعوانةُ، هكذا صار حالُك في الدنيا !.. ولا أعلم ماذا سيكون شأنُك غداً في الآخرة ؟! فسمعت صوتاً ينادي: يا شَعوانةُ! لا تبعدي عنّا، والزَمي بابَنا؛ لنرى ما سيكون عليه شأنُك غداً في الآخرة.. فكبُر شأنُها شيئاً فشيئاً حتّى غدت من الأولياء، وصاروا يعقدون مجلساً تتحدَّث هي فيه، وتهطلُ دموعها[٧].

كانت شعوانةُ عابدةً زاهدةً بكّاءةً، كانت تبكي في الليل والنهار، فخافوا عليها العَمى من كثرة بكائها، وكلّموها في ذلك، فقالت: أعمى واللهِ في الدنيا من البكاء أحبُّ إليَّ من أن أعمى في الآخرة من النار.

سأَلَهَا الفضيلُ بنُ عياض أن تدعوَ اللهَ له: فقالت له: يا فضيلُ، أما بينَك وبينَ الله تعالى سريرة، ما إن دعوتُه، استجابَ لَك.. فشهقَ الفضيلُ شهقةً، وخرَّ مغشيّاً عليه.

وسمعت في أحد الأيّام شخصاً يقولُ وكانت عند مالك بن دينار: لا يبلغُ حقيقةَ التقوى حتّى لا يكون شيءٌ أحبَّ إليه من القُدوم على اللهِ، فخرَّت مغشيّاً عليها[٨].

كانت لا تفترُ عن البكاء، فقيل لها في ذلك، فقالت: واللهِ، لوَدَدْتُ أن أبكيَ حتّى تنقطعَ دموعي، ثمَّ أبكي دماً حتّى لا تبقى جارحةٌ من جَسَدي فيها دمٌ، وكانت تقولُ: منْ لمْ يستطع البكاءَ، فليرحم الباكينَ؛ فإنَّ الباكيَ إنّما يبكي لمعرفته بنفسه، وما جنى عليها، وما هو سائرٌ إليه، وكانت تبكي وتقولُ: إلهي، إنّك لتعلمُ أنَّ العطشانَ من حبّك لا يروى أبداً[٩].

وعن مالك بنِ ضِيغَم قال: كان رجلٌ من أهل الأُبُلَّة يأتي أبي كثيرا فيذكر له شعوانةَ وكثرةَ بكائها، فقال له أبي يوما: صِف لي بكاءَها، فقال: يا أبا مالك، أصفُ لك، هي واللّه ـتبكي الليلَ والنهارَ لا تكادُ تفترُ، قال: ليس عن هذا أسألُك، كيف تبتدئُ بالبكاء؟ قال: نعم يا أبا مالك، تسمعُ الشيءَ من الذّكر، فترى الدموعَ تنحدرُ من جُفونها كالقَطر، قال: فمجاري الدموع من المآقِ الذي على الأنف أكثرُ أم مؤخّر العين ممّا يلي الصّدغ ؟ قال: يا أبا مالك، إنَّ دموعَها أكثر من أن يعرف هذا من هذا، ما هي إلّا أن تسمعَ [الذكر]، فتجيءُ عيناها بأربعٍ نجوماً متبادرةً جدّا، فبكى أبي، وقال: ما أرى الخوفَ إلّا قد أحرقَ قلبَها كلَّه، ثمَّ قالَ: كان يُقال: إنَّ كثرةَ الدموع وقلّتَها على قدر احتراقِ القَلب، حتّى إذا احترقَ القلبُ كلُّه، لم يشأ الحزينُ أن يبكيَ إلّا بَكى، والقليلُ من التذكرة يحزنُه.

قال مالك بن ضيغم: وقال لي أبي يوما: إنطلقْ مع (منبوذ) حتّى تأتيَ هذه المرأةَ الصالحةَ، فتنظرُ إليها يعني: شعوانة فانطلقتُ أنا وأبو همّام إلى الأُبُلّة، ثمَّ غدونا عليها، فدخلنا، فسلّم عليها منبوذٌ، وقال: هذا ابنُ أخيك ضيغمٌ، فرحّبت بي، وتحفَّت، وقالت: مرحباً بابنِ مَنْ لم نَرَه ونحنُ نحبُّه، أما واللّه يا بنيَّ إنّي لمشتاقةٌ إلى أبيك، وما يمنعني من إتيانه إلا أنّي أخافُ أن أشغلَه عن خدمة سيّدِه، وخدمةُ سيّده أولى به من محادثة شَعوانة.

قال: ثم قالَت: ومن شعوانة؟ وما شعوانةُ؟ أمَةٌ سوداءُ عاصية.

قال: ثم أخذت في البكاء، فلم تزل تبكي حتّى خرجْنا وتركناها.

يحيى بن بسطام قال: كنتُ أشهدُ مجلسَ شعوانةَ كثيراً، فكنتُ أرى ما تصنعُ بنفسها، فقلتُ لصاحبٍ لي يقال له عمران بن مسلم: لو أتيناها إذا خَلَت، قال: فانطلقنا أنا وهو إلى الأبلّة، فاستأذنّا عليها، فأذنت لنا، فإذا منزلٌ رثُّ الهيئة أثرُ الجَدْبِ عليه بيّنٌ، فقال لها صاحبي: لو رَفقتِ بنفسِك فقصرتِ عن هذا البكاء شيئاً، كان أقوى لك على ما تريدين، قال: فبكت، ثم قالت: واللهِ لوَدَدْتُ أني أبكي حتّى تنفدَ دموعي، ثم أبكي الدماءَ حتّى لا تبقى في جَسدي جارحة فيها قطرةٌ من دم، وأنّى لي البكاء ؟ قال: فلم تزل تردّد ذلكَ حتّى انقلَبت حدقتاها، ثمَّ مالَت ساقطةً مغشيّاً عليها، فقمنا، فخرجنا وتركناها على تلك الحال.

روحُ بنُ سَلَمَةَ قالَ: قال لي مُضر: ما رأيتُ أحداً أقوى على كثرة البكاء من شَعوانةَ، ولا سمعتُ صوتا قطّ أحرقَ لقلوب الخائفين من صوتِها إذا هي نَشَجَت ثمّ نادت: يا مَوْتى، وبني الموتى، وإخوةَ المَوتى.

قال محمّد: وقلتُ لأبي عمر الضريرِ: أتيتَ شَعوانةَ ؟ قال: قد شهدتُ مجلسَها مِراراً، ما كنتُ أفهمُ ما تقولُ مِن كثرة بكائها، قلتُ: فهل تحفظُ من كلامها شيئا ؟ قال: ما حفظتُ من كلامها شيئاً أذكُره الساعةَ إلّا شيئاً واحداً، قلتُ: وما هو ؟ قال: سمعتها تقولُ: من استطاعَ منكم أن يبكيَ، فَلْيَبْكِ، وإلّا، فليرحم الباكيَ؛ فإنّ الباكيَ إنّما يبكي لمعرفته بما أتى إلى نفسِه[١٠].

وكانت تقول في دعائها: إلهي، ما أشوقني إلى لقائِك، وأعظمَ رجائي لجزائِك، وأنتَ الكريمُ الَّذي لا يخيبُ لديك أملُ الآملين، ولا يبطلُ عندكَ شوقُ المشتاقين.

إلهي، إن كان دنا منكَ أَجَلي، ولم يقرّبني منكَ عملٌ، فقد جعلت الاعترافَ بالذنب وسائلَ عِلَلي، فإنْ عفوتَ، فَمَن أولى بذلك منك؟! وإن عذّبتَ، فَمَن أعدلُ منك هنالك؟!

إلهي، قد جرْتُ على نفسي في النظر لها، وبقي لها حسنُ نظركَ، فالويلُ لها إن لم تسعدها.

إلهي إنّك لم تزل لي برّا أيّام حياتي، فلا تقطعْ عنّي برَّكَ بعدَ مماتي، ولقد رجوتُ ممّن تولّاني في حياتي بإحسانه أن يسعفَني عند مماتي بغفرانِه.

إلهي، كيف أيأسُ من حُسن نظرك بعد مماتي ولم تولّني إلا الجميلَ في حياتي.

إلهي، إن كانت ذنوبي قد أخافتني، فإنّ محبّتي لك قد أجارتني، فتولَّ من أمري ما أنتَ أهلُه، وَعُدْ بفضلك على من غرّه جهلُه.

إلهي، لو أردتَ إهانتي، لما هديتَني، ولو أردتَ فضيحَتي، لم تسترني، فمتّعني بما له هديتني، وأَدِمْ لي ما به سترتَني.

إلهي، ما أظنّك تردّني في حاجة أفنيتُ فيها عُمري.

إلهي، لولا ما قارفتُ من الذّنوب، ما خفتُ عقابَك، ولولا ما عرفتُ من كرمِك، ما رجوتُ ثوابَك[11]

كانت شعوانةُ قد كَمَدت حتّى انقطَعَت عن الصلاة والعبادة، فأتاها آتٍ في منامها، فقال لها:

أَذْري جفونَك إمّا كنتِ شاجيةً * أنَّ النياحةَ قد تشفي الحزينينا

جِدّي وقُومي وصومي الدهرَ دائبةً * فإنّما الدوبُ مِن فعلِ المطيعينا

فأصبحتْ، فأخَذَت في الترنُّم والبكاءِ، فَسَلَتْ، وراجَعَت الدؤبَ والعَمَل.[12]

الهوامش

١- سورة البقرة: ٢٢٢.

٢- عيون أخبار الرضا: ج٢ ص٣٣، كفاية الاثر، ١١٩.

٣- جامع السعادات: ج٣ ص٥١.

٤- أصول الكافي: ج٢ ص٤٣٥.

٥- سورة الفرقان: الآية: ١٢.

٦- سورة الفرقان: ١٣.

٧- موقع منتدى الكفيل نقلا عن كتاب هكذا تاب التائبون – بتصرف-.

٨المنتظم في تاريخ الامم والملوك: ج٩، ص١١.

٩الطبقات الكبرى، الشعراني،ج١،ص١٢٤.

١٠-ينظر: صفة الصفوة، ابن الجوزي، ج ٤ ص ٤٧-٤٨،والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ج٩،ص١١.

١١- المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء، الكاشاني،ج٨،ص١٧٨.

١٢- الهم والحزن، لابن ابي الدنيا: ص٦١.



أبو مِجْلَز البصريّ

حياةٌ توزّعت بين الأمكنة

د. علي مجيد البديري

هو لاحقُ بنُ حميد، المُكنّى بأبي مِجْلَز، غلبت معرفتُه بكنيته على اسمه، ونُسب إلى البصرة لسكنه فيها زمناً كما ينقل ذلك ابنُ الأثير في الكامل في التاريخ، وقد أمضى حياتّه متنقّلاً بين اليَمامة والشام وخراسانَ والبصرةِ حتى وفاته في الكوفة قبل الحَسن البصريّ بقليل، على وِفقِ ما ذكر ابنُ حِبّانَ في (مشاهير علماء الأمصار)، أي: في سنة ١٠٩هـ، أو سنة ١١٠هـ.

لم تذكر الكتبُ المختصّةُ عن حياته الشيءَ الكثير، على أنّ في القليل الوارد ملامحَ تمكّنُ القارئَ من رسم صورة تقريبيّة لأبي مِجلَز إلى حدّ ما، وفي الوقت نفسه، تدفعُنا ملاحظةُ كثرة التنقّلات التي قام بها الرجل بين مدن مختلفة، إلى السؤال عن مَدَيات تأثيرها في اكتسابه المعرفة، وعن سبب عدم تجلّيها في عنايته بالتفسير، وليس أمامَنا غيرُ توصيف تقريبيٍّ يمكن أن نفترض وقوعَه من دون تأكيد؛ فتعدُّدُ أساتذته واختلافُهم يقرّب صورةَ أبي مِجلز قليلاً من إمكانيّة تحديد توجُّهه؛ فهو لم يكن موفَّقاً للنهل من موارد أهل البيت عليهم السلام في منهجه، وهم عِدْلُ القرآن، والثقلُ الثاني العارفُ بأبعاد التنزيل الزمانيّة والمكانيّة، والعالمُ بتأويله، على الرغم من ورود اسم الإمام الحسن عليه السلام في قائمة أساتذته التي ذكرها بعض الدارسين.

ولا شكَّ في أنّ لتعدّد المشارب غيرِ المتجانسة التي أخذ منها أبو مجلز علمَه أثراً في ذلك؛ فمن الحتميّ أن تكون النتيجة على هذه الكيفيّة، فالصحابةُ كانوا مختلفين في درجة الانفعال بالثقافة الاسلاميّة والاخلاص لها؛ نتيجة تأثّرهم بظروفٍ موضوعيّةٍ مختلفةٍ في زمن انتمائهم الى الإسلام واتّصالهم بالنبي ﷺ، ومدى طموحاتهم وآمالهم، فضلاً عن ذلك، كان لتقلّب أبي مجلَز في



الأمكنة المختلفة لدواعٍ بعضُها سياسيّ قريب من السلطة آنذاك، الأثرُ الفاعلُ في حياته، الذي تجلّى في نفسيّته وروحه وتوجّهاته.

وفي الواقع، تثيرُ مثلُ هذه المواقف التساؤلَ لدى القارئ المدقّق فيها؛ فأين يمكن أن نضع أصحابَها وهم يعيشون على مقربة من امتدادات النبوّة في عِدل القرآن، الذين أشبعوا سبلَ تفسير القرآن الكريم إيضاحاً وبياناً وتحديداً؟ إذ مازال يتردّد في الأسماع قولُ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «استنطقوا القرآنَ، ولن ينطقَ، لكنْ، أخبرُكم عنه»: «لا ينطقُ بلسان، ولابدّ له من تُرْجُمان، وإنّما ينطقُ عنهُ الرجال»، ثمَّ يحدّد عليه السلام أهلَ العلم بالقرآن، فيصفُ العترةَ الطاهرةَ قائلاً: «فيهم كرائمُ القرآن، وهم كنوزُ الرحمن، إن نَطَقوا، صَدقوا، وإن صَمتوا، لم يُسبقوا، فلْيَصدّقْ رائدٌ أهلَه، ولْيُحْضر عقلَه»[1].

لقد مثّلت العنايةُ بالمأثور واستعمالُه في التفسير استجابةً لحاجة ارتبطت بسياق هذا النوع من التفسير؛ فزمنُه لم يبتعد كثيراً عن زمن النزول وحياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وامتداد هذا الحضور عبر رواية سنّته، وما نقل عن صحابته والمقرّبين منه صلى الله عليه وآله وسلم، فما زال المأثور من السنّة فاعلاً وحَيّاً في مختلف وقائع الحياة، وهو النور الأقربُ لآيات القرآن بالبيان والتوضيح، ولعلّ ما ورد عن أبي مِجلز في هذا المجال لا يعدو أن يكون من البدايات الأولى لملامح هذا النمط من التفسير؛ فقناةُ النقل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله تمثّلت بالصحابة على تعدّد توجُّهاتهم واختلافِهم في طرائق النهل من علم النبي، وقد أدّى ذلك إلى سهولة تسرُّب بعض الاسرائيليّات إلى جزء ممّا ورد عن أبي مِجلز من وقائعَ تفسيريّة لآياتٍ من القرآن الكريم، ولا يمكن تحديد نسبة ورودها على نحو الدقّة؛ لقلّة المنقول عنه، إلّا أنّ ما رواه أبو مِجلز من الإسرائيليّات كما يرى بعضُ الباحثين «هو من النوع الذي يحتملُ الصدقَ والكذبَ، والذي فيه بسطٌ لمختصر، أو تسميةٌ لمُبهم ورد في شرعنا، وأغلبُه ممّا لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني، ولا يدخل في محظورٍ شرعيّ».

وعلى الرُّغم من ذلك، فإنَّ هذا الأمرَ يعدُّ مؤشّراً لخَلل كبيرٍ في ثقافة الرجل ومنهجه، ويكفي في بيان خطورة الخلل ما يرويه ابنُ الجوزيّ في (الموضوعات) عن أبي لهيعة: «سمعتُ شيخاً من الخوارج تاب ورجع، وهو يقول: إنَّ هذه الأحاديث دِينٌ، فانظروا عمَّن تأخذون دينَكم؛ فإنّا كنّا إذا هَوَينا أمراً، صيَّرناه حديثاً»[2].

وعلى وفق منهجه التفسير بالمأثور، فإنّ مُجمل ما وصل من عمل أبي مِجلَز التفسيريّ حُدِّدَ برواية واحدة في تفسير القرآن بالقرآن، وأربعِ رواياتٍ في تفسير القرآن بالسنّة، وسبعِ روايات في تفسير القرآن بأقوال الصحابة، وأربعِ روايات في التفسير بالإسرائيليّات، ولا شك أنّ هذا القليل الوارد من مرويّات الرجل وتفسيره لا تكفي للتحقّق ممّا ورد في ترجمته لدى القدامى؛ من أنّه أثّر في مَنْ تلاه من المفسّرين.

ومن نماذج تفسيره باعتماد الأثر الوارد عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، قولُه في تفسير المراد من لفظة (الخيام) في قوله الله تعالى: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾: إنّها درٌّ مُجَوَّفٌ؛ معتمداً الحديثَ الواردَ عن رسول الله صلى الله عليه وآله، الذي يقول فيه: «الخَيمةُ درّةٌ مجوَّفةٌ في السماء طولُها ثلاثون ميلاً، في كلّ زاوية منها للمؤمن أهلٌ لا يراهم الآخرون».

وفي مجال وروده في سند رواية ما بوصفه ناقلاً، نجدُ الطبريَّ يروي عنه في تفسيره (جامع البيان في تفسير القرآن) غيرَ مرّة، وعنه أخرج السيوطي في (الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور) قوله: قال رجل لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: أنا أنسبُ الناس، قال: إنّك لا تنسب الناسَ، قال: بلى، فقال له عليٌّ رضي الله عنه: أريت قوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾؟ قال: أنا أنسب ذلك الكثير، قال: أرأيت قولَه: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾؟ فسكت.

على هذا النحو وصلت الشذرات التفسيريّةُ القليلةُ عن أبي مِجلز، وهي على الرُّغم من ذلك تُسهم في رسم ملامحَ عصرٍ مرَّ به تفسيرُ القرآن الكريم، تشكّلت فيه بداياتُ التفسير الأثريّ أو بالمأثور الذي يعمدُ فيه المفسِّر إلى الكشف عن مراد الآيات اعتماداً على الرواية والأثر، فضلاً عن فائدة هذه الأخبار والشذرات في رسم صورة لواقع التحوُّلات في حياة الإسلام بعد وفاة النبيّ ﷺ، إذا ما ضُمَّت إلى الأخبار الواردة عن الأبعاد السياقيّة الأخرى ومكوّناتها.

الهوامش

١- (نهج البلاغة: ٢/٢٧٠)

٢- (أبو مِجلز البصري ومنهجه في التفسير المأثور: د. أحمد العيساوي).

الأوضاع السياسيّة في البصرة بعد الحرب العالميّة الثانية (١٩٤٥ – ١٩٥٨ م):

دراسة تأريخيّة

المؤلّف: أ.م.د. نجاة عبد الكريم عبد السّادة

إعداد: د. أشرف عبد الحسن

لقد مرَّ العراقُ وبضمنه البصرة بفَتَراتٍ عَصيبةٍ وحَرجةٍ في تاريخه، أدَّت الى تدهورٍ وتأخُّرٍ في عجلة النموّ والازدهار، ومنها كثرةُ الانقلابات والثورات والحروب، التي لم تبق حجراً ولا شجراً ولا ماءً عذباً، بعد أن كانت البصرةُ يُضرب بها المثلُ بكثرة أشجارِها وعذوبةِ مياهها، فهذه هي الحروبُ، لا تتركُ سوى الدمار، والواقعُ خيرُ شاهد، ولنا أيضا في آيةٍ من القرآن خيرُ شاهد، وهي قولُه تعالى: {قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ}[1].

لقد ظهرت العديدُ من الدّراسات حول تاريخ البصرة الاسلاميّ والحديث، وتأتي هذه الدراسة استكمالاً لسلسلة تاريخ البَصرة وأهميّة الكشف عن جوانبه العديدة، فكان اختيارُ الباحثة لهذا الموضوع (الأوضاع السياسيّة في البصرة بعد الحرب العالميّة الثانية)، وتعدُّ تلك الحِقبةُ مجالاً خَصباً من الحركة الوطنيّة في العراق، وقد شهدت البصرةُ آنذاك أحداثاً كثيرة كانت جزءاً من أحداث العراق، وقد كان هدفُ البحث هو دراسةُ دور البصرة السّياسيّ في فترة ما بعد الحرب العالميّة الثّانية، ودورها في الحركة الوطنيّة من خلال طبيعة الأدوار الحزبيّة والانتخابات النّيابيّة والحركة العمّاليّة.

الكتابُ صدر عن مركز تُراث البصرة، التابعِ لقسم شؤون المعارفِ الإسلاميّة والإنسانيّة في العَتبة العباسيّة المقدّسة، والكتابُ ضمنَ محورِ التراث التأريخيِّ لموسوعة تراث البصرة، ويقع في (٢٤٥) صفحة من القطع الوزيري.

وقد تألَّفَ الكتابُ من مقدّمةٍ وتمهيدٍ وثلاثةِ فصولٍ وخاتمةٍ، خُصّص التمهيد للكتابة عن الأوضاع السياسيّة في البصرة أثناء الحرب العالميّة الثانيّة (١٩٣٩١٩٤٥م)، وتضمَّنَ الفصلُ الأوّلُ لمحةً تاريخيّةً عن ظهور الأحزاب السياسيّة في البصرة قبل الحرب العالميّة الثّانية، والجانبِ التنظيميِّ والنشاطِ السياسيِّ لفروعِ الأحزاب السياسيّة العلنيّة والسرّيّة في البصرة بعد الحرب العالمية الثانية.

وأمّا الفصلُ الثاني، فتضمَّنَ مقدّمةً عن ظهور الحركة العمّاليّة في البصرة وتطوّرها قبل الحرب العالميّة الثانية، وموقفِ التنظيماتِ العمّاليةِ من الأوضاع السياسيّة في البصرة (١٩٤٥ ١٩٥٨م)، وموقفِ الرّأيِ العامّ من الحركةِ العمّاليّة في البصرة بعد الحرب العالميّة الثانية (١٩٤٦ ١٩٥٨م).

وتناولت الباحثةُ في الفصل الثالث الانتخاباتِ ودورَها في الأوضاع السّياسيّة بعد الحرب العالميّة الثانية (١٩٤٦١٩٥٨م)؛ إذ بحثت فيه عن أحداث الانتخابات في البصرة، والدّورات الانتخابيّة، وما حصل من التهيّؤ للانتخابات في الجانب

الإداريّ، والتدخّل الحكوميّ في هذه الانتخابات، وحاولتْ الباحثةُ أن تبيّن دور الصّحافة في الانتخابات؛ بوصفها جزءاً من الرأي العام؛ إذ رصدت الصّحفُ هذه الانتخابات، وأعطتنا معلوماتٍ وافيةً عنها، خاصّة (جريدة الثّغر).

ونعرضُ هنا شذراتٍ منْ سيرة الباحثة: فهي: الدكتورة نجاة عبد الكريم عبد السّادة، من مواليد البصرة، عام ١٩٦٢م، حصلت على شهادة الماجستير سنة ١٩٩٢م عن رسالتها (الأوضاع السياسيّة في البصرة بعد الحرب العالميّة الثانيّة ١٩٤٥ – ١٩٥٨م)، التي أخذ مركز تراث البصرة على عاتقه مراجعتَها وضبطَها ثمّ طباعتَها بكتاب؛ لأهميّة هذا الموضوع، الذي تناول حقبةً مهمّةً من تاريخ البصرة المعاصر، ونالت شهادةَ الدكتوراه سنة ١٩٩٩م من جامعة البصرة.

وقد شاركت الدكتورة نجاة في عدّة دورات تدريبيّة، ومنها في أربيل وتركيا، وتسنَّمت عدّةَ مناصب إداريّة، تبدأ بوظيفتها كتدريسيّة في كلّيّة الآداب سنة ١٩٩٢م وإلى الآن، وهي رئيسة قسم الدراسات التاريخيّة في مركز دراسات البصرة (٢٠٠٥ – ٢٠١٠)، ومسؤولة وحدة الإرشاد التربويّ، ووحدة التعليم المستمرّ (٢٠١١- ٢٠١٨)، ومقرّرة قسم التاريخ، ومسؤولة لجنة التكافل الاجتماعيّ (٢٠١٤ – ٢٠١٦).

وللباحثة عدة بحوث منشورة في المجلّات العراقيّة، وشاركت بعدّة ندوات ومؤتمرات علميّة في جامعة البصرة وجامعة الكوفة، وكذا نالت العديدَ من شهادات الشكر والتقدير نتيجة لنشاطها العلميّ والثقافيّ، وأشرفت على سبعِ رسائل ماجستير وأطروحتَي دكتوراه.

يعدّ كتاب: الأوضاع السياسيّة في البصرة بعد الحرب العالميّة الثانية (١٩٤٥ – ١٩٥٨ م): دراسة تأريخيّة إضافةً مهمّةً للمكتبة البصريّة؛ إذ أنّه احتوى على مادّة غنيّة اعتمدت فيها الباحثة على الوثائق التي تخصّ تلك الفترة.

الهوامش

١- سورة النمل، الآية ٣٤.





الشّهيدُ السّعيدُ
جعفر سعد ناصر فرج الدراجي

زينب المسعودي

إنّ الشّهادة أمرٌ عظيمٌ يتسابقُ لأجلها جميعُ المؤمنين، ولا ينالها إلّا من اختاره الله، فالشّهادة هي أقربُ الطرق للوصول إلى الله تعالى، والذي يريد نيلَ الشّهادة، لابدَّ له من أن يهيّئَ لها المقدّماتِ اللازمةَ والخاصّةَ بها، ومنها أن يكون ذا سلوكٍ إيمانيٍّ وأخلاقٍ عاليةٍ، محبّاً للخيرِ ومساعدةِ الناسِ، ومؤدّياً ما عليه من الواجبات التي أمره الله بها.

واليوم نريدُ أن نتعرَّض لسيرة عطرة لأحد الشُّهداء، ونقول سَلَفاً: إنّنا مهما كتبنا عن أولئك الأبطال، فإنّنا لن نفيَهم حقَّهم، وإنّما هي تذكرة تنير حياتَنا.

قال تعالى في محكم كتابه الكريم في سورة آل عمران:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١)﴾.

فالمنزلةُ التي رسمها القرآن الكريم للشَّهيد هي المنزلة العظيمةُ التي رفعه إليها، والمقامُ الكريمُ الذي اختارَه له، وهي دارُ البقاء التي يتنافس فيها المتنافسون، ويعمل لها المؤمنون؛ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[1].

ومن بين هؤلاء الشُّهداء السُّعداء: الشَّهيدُ البطل: (جَعفر سَعد ناصر فَرَج الدرّاجيّ).

وُلِدَ الشَّهيدُ السَّعيدُ في منطقة الكزيزة في محافظة البصرة عام ١٩٩٥ م، أكمل دراستَه الابتدائيّةَ في مدرسة (المَغاوير)، ثمَّ ترك الدراسة لظروفٍ معيشيّة، وتوجّه للعمل في البناء (العمّالة).

كانت علاقتُهُ بعائلتهِ علاقةً طيّبةً، فكانَ محبوباً بينهم، يمتاز بشخصيّةٍ ذاتِ طابَع ٍاجتماعيٍّ، يحبُّه الجيرانُ والاصدقاءُ؛ فهو صاحب غيرةٍ ونخوةٍ وحميّة، يشاركُ الناسَ أفراحَهم وأحزانَهم، ويساعد المحتاجينَ منهم، ويعطفُ على صغيرهم، ويحترم كبيرَهم، يتفقّد المرضى منهم، ويسعى في قضاء حوائجهم.

وأمّا في شهر محرّم الحرام، وفي زيارة الأربعين، فكان الشَّهيدُ يخدم في موكب (خُدَّام الزهراء) عليها السلام في منطقة الكزيزة في محافظة البصرة، وكذلك في كربلاء، فكان يذهب كلَّ عام إلى كربلاء مَشياً على الأقدام، وحينما يصلُ، يلتحقُ بالموكب لخدمة الزائرين.

وعندما أعلنت المرجعيّةُ العليا فتوى الدِّفاع الكفائيِّ، طلب الإذنَ هو وأخوه الأكبرُ من والدهما، فكان لهما ما أرادا، فانطلقا ملتحقَينِ بجبهات القتال امتثالاً لنداء المرجعيّة العليا الرّشيدة، فكانَ أوَّلُ التحاقٍ لهما في (جبال حمرين)، وشاركا في كثير من المعارك، منها: (حصيبة) و(جبال حمرين).

وكانت الشَّهادةُ هدفَهُ، وكان طالباً لها بصدقٍ ؛ ليكون مصداقاً لقولِ رسول الله صلى الله عليه وآله: «من طلب الشهادة صادقاً، أُعطيها ولو لم تصبه»[٢].

استُشهد (جعفر) رحمه الله في (٢٠١٥/٧/٢٠) في الحصيبة؛ عندما أُصيب أحدُ الأخوة المقاتلينَ، وبدأ بالاستغاثة والنداء، فهبَّ الشَّهيدُ الشجاعُ (جعفر) ومعه صديقُه الشهيدُ البطلُ (أبو هدى) لإنقاذ المصابِ، فقام قنّاصٌ داعشيٌّ قذرٌ باستهداف البَطَلين (جعفر) و(أبو هدى)، فوقعا شهيدين (رحمها الله)، ووصلَ خبرُ استشهاد (جعفر) إلى أهله بعد أربعة أيّام من استشهاده، ولم يستلموا جثمانَه الطاهر؛ لأنّه كان في الأرض الحرام إلّا بعد (٢٢) يوماً من استشهاده، وعندما وصل جثمانُه الطاهرُ، شيَّعَه أبناء منطقته تشييعاً مهيباً.



تنقل عائلتُه أنّه قبل أن يستشهد كان والده وأخوه في بغداد، فاتّصل الشَّهيد بوالدِه عن طريق التلفون، وقال له: «إحسبني من الشُّهداء»، وقد سمع والدُه أصواتَ إطلاق النيران، وعندما سأله، قال له (جعفر): >إنّنا نتدرّب<، وكان هذا آخر اتّصال له بوالده.

كان الشَّهيدُ قد كتب وصيّةً فُقدت في أرض المعركة، وعند استلام جثمانه الطاهر، كانت معه جنسيّته وصورةُ له ولصديقِه خُضير، ولم تكن الوصيّة معه!

وتمّ التعرّف على الشهيد والاستدلال عليه عن طريق محفظته وما تحتويه، وما زال فقدان الوصيّة هو ما يؤرِّق أهلَه.

فسلامٌ عليك يا (جعفر) يوم وُلدت ويوم لبَّيتَ نداء المرجعيّة، ويومَ استشهدت.

وهنيئاً لك ولعائلتك بك.

الهوامش

١- سورة محمّد: الآية ٤.

٢- شرح اصول الكافي، المازندراني:٢٦٨/٨.

التِفاتة

الكنوزُ التي تختزنُها المدنُ في ذاكرتها كالبذور التي تنتظرُ مَن يُودعُها في التربةِ لتغدو بعدَ حين غصوناً زاهرةً، أو مثمرة.

هكذا هي (المخطوطات) التي تحملُ في صفحاتها الصفراء بذوراً معرفية تكادُ ترسمُ حقولَ املٍ واعدٍ، وبساتين مستقبلٍ ناهضٍ، ومعلومُ أنّ تلك المخطوطات اذا ما كثُرت، فستجد الثقافة نفسَها حتماً على شاطئ الثراء.

إنّ على المدن التي تمتلك مثل تلك الثروة أن تسعى جاهدةً إلى أنّ تجدَ مَنّ يحُسنُ الغَوْصَ لاستخراج تلك الدرُر التي لا شك في أنَّ وراءَها تاريخاً عظيماً صنعَهُ رجالٌ أصلاء من العلماء والمفكرين والأدباء.

إنّ جانباً من عظمةِ المدُن يَسْتتِرُ في تلك المخطوطات، ولكي يهتدي السائرون، فلابدّ من إزاحةِ السّحُب عن تلك البدور، من أجل أن تلبسَ ضوؤَها الدروب.

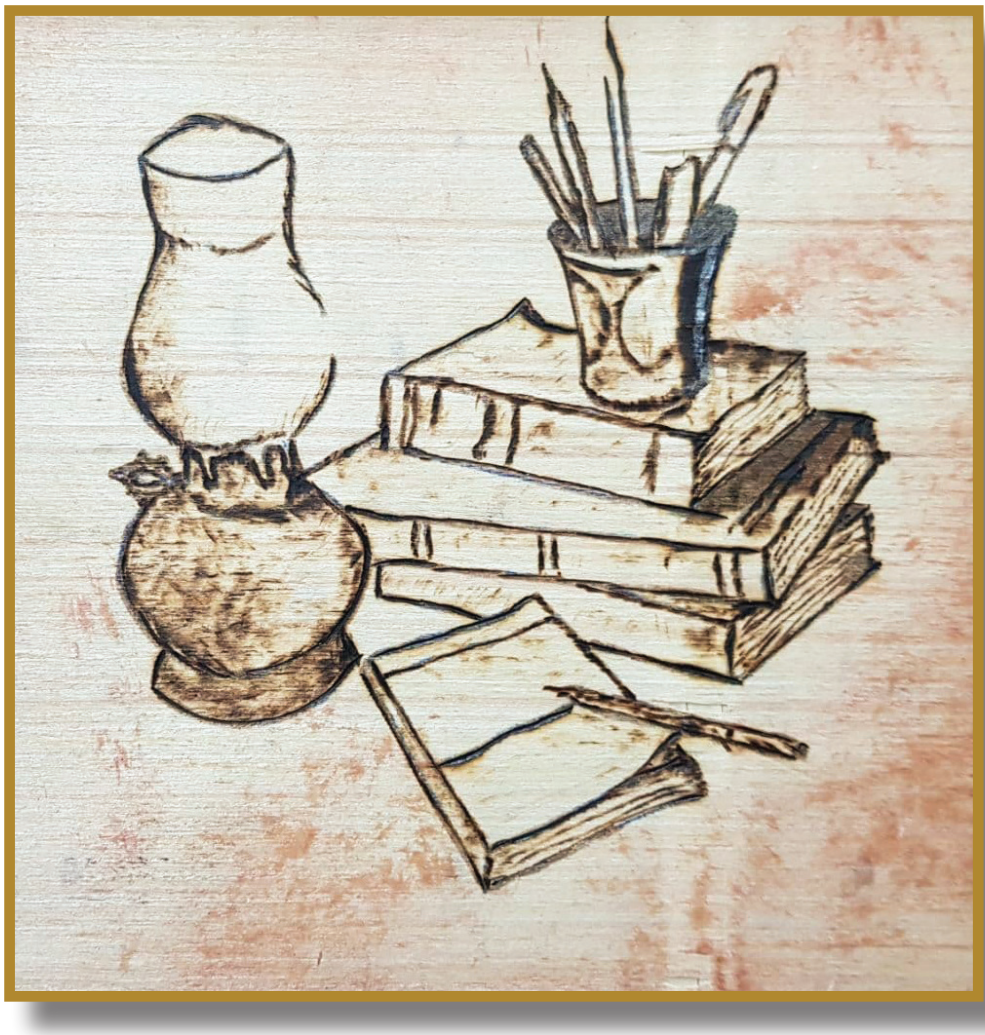
إنَّ تاريخ البصرة حافلٌ بتلك الكنوز، فهنالك الألاف منها، وقد أجتهد الباحثون على دراستها ووضع مفاتنها أمام أعين المتلقين، لكنَّ الكثير الكثير منها مازال ينتظر من يأخذ به إلى حيث النورُ والصدور.

ولعلّ من جميل ما تمكن الإشارةُ اليه في هذا السياق، أنّ هناك في مركز تراث البصرة التابع للعتبة العباسية المقدسة وحدةٌ تحملُ اسماً هو: (وحدة التحقيق) وفيها ما يقارب من أربع عشرة ألف مخطوطة مصورة (١٤٠٠٠مخطوطة) تبحث عمّن يقاربُها ويستنطقها و يوقدُ نبراس جهدهِ في ممراتها ودهاليزها.

فإلى كل الباحثين والأكاديميين لاسيما في جامعتنا المعطاء جامعة البصرة، نوجّه دعوتنا لزيارة المركز وانتقاء ما يحلو لهم من تلك المخطوطات التي سيجدون فيها، إن شاء الله، ما يثري وما يفيد وقد لا تخلو من جديد يُضاف إلى حقول المعرفة.

وأخيراً، سيبقى تراث البصرة الثّر بحراً لا ينضب، وأنّى تأتيه الثقافة ترِد.

• مدير التحرير



لوحة فّنيةّ استُخدمت فيها تقنّيةُ الرسم بالحَرق على الخشب / نديم البصري

ثلاثة إصدارات جديدة لمركز تراث البصرة







تواصل معنا